فتحي الابياري

آ آ آه
يا بلد !!

تصميم الغلاف : الفنان حسن فتحي
رســوم : جابر ناشد
سكرتارية التحرير :
.فتحي الســايح . عماد فهمي . أسامة المغربي

** كلمات

** ماذا يفعل الأديب إزاء التطورات الحادة التي تحدث في المجتمع الذي يعيش فيه من تدهور العلاقات الإنسانية بين الأفراد ، والأسرة الواحدة ، وضياع الزمن الجميل ، في كل شئ .. وغرق المجتمع في طوفان المادية العنيف ؟

وظهرت على سطح المجتمع .. الفقاقيع ، وصراصير المجاري ، والانتهازيين ، والغشاشين ، والأفاقين ، والزفافين ، .. وكل ما هو عفن ، ورديء ، كالسرطان الذي ينهش في نخاع كل ما هو جميل !!

وامتلأت الصحف بجرائم بعض الوزراء ، والمحافظين ، وأعضاء مجلس الشعب ، وبعض الطفيليين والأفاقين الذين ظهروا على سطح المجتمع ليكونوا قدوة فاسدة لشباب المستقبل .. الذين كانوا من المفروض أن يتولوا مسئولية المجتمع في المستقبل .

وغرق هؤلاء الشباب في دوامة هذه العفونة ، فهرب أكثرهم إلي مجتمعات أخرى خارج بلادهم ليحققوا أحلامهم في تكوين أسرة نظيفة .. وأصيبوا بالإحباط ، والانهيار ، عندما اصطدموا بتلك المجتمعات التي لا تمت بأية صلة من معتقداتنا الدينية الأصيلة ، من قيم ، ومثل ، وأخلاقيات .. وحاولوا التغلب على هذه الصدمات العنيفة التي أوجدوا أنفسهم فيها ، سعيا وراء المال ليحققوا ذاتهم .. ونجح البعض القليل ، وضاع الكثيرون ..

أما الذين اضطروا إلي البقاء في مجتمعهم ، فقد انغرس الكثيرون في دوامة المغيبات .. وضاع أكثرهم . والبعض الأخر التمس طوق النجاة في الدين .. والتمس القدوة في سيرة نبع الحب في الوجود سيدنا محمد ﷺ وأصبح من أصحاب (أهل الكهف) .. في هذا المجتمع المتفكك .. المنهار

ولا يجد الأديب .. إلا .. أن يقدم بعض الصور ، والأمل لمستقبل مشرق .. ويصرخ من أعماقه ..آ .. آ ... آه .. يا بلد !! ليفيق المجتمع من غفوته ، لينقذ مستقبله .

فتحي الابياري



وقائع لحظة حـــــب

ذات مسـاء ، جلـس الأديـب الكـبير إلـي مكتـبه ، يتصـفح الخطابـات الـتي وصلته بالبريد . وشد انتباهه أحد الخطابات .. وظن أن أحد القراء قد بعث إلـيه بقصة لتجد سبيلها إلي النشر .. ولكن خط الرسالة لم يكن غريباً عليه ، رغم مضـي سنوات . وكـان عـنوان الرسـالة (أجـراس الـتحول) .. وتحركت عيناه فوق السـطور ، وعـادت ذاكـرته إلـي .. الـوراء .. وارتسـمت صورة ما حدث .. وصورة صاحبتها فوق السطور ..

نادر ..

لقد قرأت قصتك (المزلقان) ، وبالرغم من أنني قد آليت على نفسي ألا أعود إلي هذه الفترة من العلاقة بيننا ، واكتفي بما خلعته من صداقة ، ولقمة عيش مشتركة . إلا أنه قد هالني أن تكون أنت الأديب صاحب الكلمة الرقيقة ، والعارف بقدر الكلمة ، وتأثيرها المرهف في النفس المحبة ، الرومانسية المشاعر ، أن تعلق على تركي للسيارة بتلك العبارة التي لن أعود لذكرها .

لقد أسميت نفسك (نادر) فكيف يصل بك هذا التدني لوصف علاقة بين اثنين جمعتهم الظروف ، وكانا حسب قولك في قمة الحب والعشق الإلهي ، صائمين متلاصقين .

نادر ..

الذي لم تعرفه ولن تعرفه إلا الآن مني أن (المزلقان) كان نقطة تحول وعبور في علاقتنا معا . وأنا لا أدري هل قصدت أن تكون راويا . أو أديبا في سردك لهذه الواقعة . فلو كنت راويا ، فلقد نسيت أن تسرد الحديث الذي دار قبل تحرك السيارة على شريط المزلقان وتوسلاتي بالا تتحرك قبل أن تجد مسافة تستطيع الوصول إليها . وتذكر أني قد حاولت أن أمسك عجلة القيادة حتى أمنعك من التقدم على شريط القطار . ولكنك رفضت أن تستمع إلي ما أقوله . لحظتها فقط أحسست أنك تقود حياتي هكذا وحدك بدون مشاركة مني أو الاستماع اليّ . في هذه اللحظة بالذات شعرت أن الله قد أراد ألا أصدم في حب تصورت أنه هبة من السماء

فلقد كانت أجراس الخطر عند المزلقان ، تخبرني بأنك لن تستمع إلا لصوت عقلك ، وبدا هذا واضحاً من مناقشة موضوع الزواج والطلاق ، وإصرارك على عدم طلاق زوجتك . والاستحواذ على الحب والزوجة ونسيت وأنت الأديب ، أن الحب أنانية ، ولم توجد المرأة التي ترضي بنصف حبيب . قد ترضي بنصف زوج وهذا كثير ، ولكن أقول حبيب ! !

ورفضت تماما الاستماع إلي أي مطالب لي . واقتنعت بأن حججك هي الأقوى . ومضي يومنا . وأنت تتكلم حتى عندما واجهتنا الأزمة فوق المزلقان ، لم يكن لصابرين إلا رجاء ، وتوسلات .. أن تقف .. لاتمر .. بربك هذا ليس إثبات وجود وبرغم ذلك لم تستمع .. هل سمعت يوما عن حبيب يلقي بحبيبته إلي الموت ليختبر حبها ؟

ما روته القصص والروايات هو الفداء الذي يحدث لو تعرض الحبيبان لموقف مفاجئ ، ولم يذكر أن يلقي أحدهما بالآخر ليختبر مشاعره ، واعتقد أن سيدنا نوح ترك ابنه حينما جاء الطوفان ، واقول جاءه ، وليس أن يقود سيارته إلي الموت ! ! فلماذا لم تذكر موقف صابرين قبل عبور السيارة المزلقان . لماذا لم ترو أنها حاولت مرارا وتكرارا ، أن تخرجك من دوامة مشاق الحياة . وفى كل مرة كانت ترضي بأنصاف الحلول حتى ترضي ذاتك ! ! إن كل دقة من أجراس الخطر عند المزلقان كانت تخبرني بأنه لن يستمع لك . لن يلتفت إلي حبك بالقدر الذي تتمنيه هو يبحث فقط عما يريده المشاركة التي تتمنينها لن تجديها .

اتركـيه .. اتركـيه .. اتركيه لزوجته وأولاده . هذا هو الوقت سيظل يضعك في خطر تلو الآخر لأن كل خيوط حياتك ستكون في يده .

وفتحـت بـاب السـيارة وأنـا أعـلم أنها النهاية ، ولكن كيف أخبرك بها لقد كانـــت أرادة الله . مـــلحوظة : مـــن عجائـــب القـــدر معـــنا أن يجمعـــنا أتوبيس ، ويفرقنا قطار ! !

وأما إذا كنت أديبا يا سيدي ، فاسمح لي أن أقدم هذا الرأي . إن البناء الفني في القصـة . قـد لوثته تلك الكلمة التي جاءت على لسان الشاب في نهاية القصة .. وهو يقول للبطل :

ـــ كُتب لـك عمـر يابيه .. أي خدمة .. لو كنت مكانك .. لبصقت على من كانت معك في السيارة وتركتك .

كيف تجئ كلمة كهذه مع كلماتك عن صابرين ..فهي تود ألا تترك المكان وأن يظلا مزروعين كشجرتين باسقتين رمزاً للحب فوق المقطم ..

لذلك تمنيت وأنت صاحب الدعوة للحب .. والعشق الإلهي أن يجعلك هذا في مصاف أصحاب الكلمة الرقيقة الشفافة الهامسة ، حتى في أشد لحظات الألم فأنت فـنان .وحيـنما تـتألم لا بـد أن يخـتلف آلـك عمن حرم نعمة الإبداع والفن . وأنت صاحب القلم في التعبير عن أحاسيس البشر ، وتكتب وقائع لحظة حب خالدة بين شـاب وفتاة . كان من الممكن لو تفهمت الموقف أن تعبر برقة وعذوبة تجعل القارئ يسـاندك في مشاعرك بعد الموقف ، ولا تعطيه الحل بأن ترضي انفعاله بكلمة ممكن أن يقولها إنسان عادي في موقف عادي .

نادر..

ـــ صابرين .. كانت تعلم مقدار نفسها جيدا ، وقدرتها على العطاء وانتظار المقابل ، وأنها لن ترضي بأن يشاركها أحد في حبيبها حتى لو كانت مشاركة اسمية وليست جسدية وأقول حبيب وليس زوجاً ، فكثيرات يعشق هكذا .

لذلك كان لزاماً عليك أن يكون اسمانا غير ذلك فليكون (محب) وأكون (أحلام) !!

صــابرين

وقـام الكاتب الكبير إلي مكتبه واستخرج مجلدا يضم قصصه التي نشرت منذ أعوام .. وتصفح القصة ، وسطور نهايتها . وفي هذه اللحظة الرهيبة فتحت صابرين باب السيارة بسرعة وقفزت خارجها .. هاربة من الموت . والشرطي يضرب بيديه مقدمة السيارة صارخاً .. القطار قادم .. تحرك يا أخىّ إلي الخلف .. ويتحرك نادر بالسيارة إلي الخلف وهو فوق القضبان .. وصرخ الشرطي .. يا ستار يا لطيف : تحرك بسرعة إلي الأمام ..إلي الأمام القطار سيفرمك .. ونادر تحجرت عيناه .. وتقلصت يداه فوق عجلة القيادة .. والسيارات الواقفة أمامه تسد الطريق .. ورأي سيارة قائد المرور التي أمامه تتحرك قليلاً فاندفع نحوها ، واصطدم بمؤخرتها وبالحاجز الخشبي المقام حول الكوبري .

وغطي ضجيج القطار ، وعويل صفارته .. والموت الذي يدور في عجلاته .. على صرخات الناس الذين وقفوا كالأصنام يشاهدون ما يحدث وأغمض الشرطي

عينيه بيده . لحظة رهيبة مرت .. بمرور القطار .. ونادر في السيارة ، وقد تجمدت الدماء في عروقه . ومر القطار وليس بينه وبين مؤخرة السيارة سوي مسافة شبر واحد . وهجم شاب من الواقفين على نادرا ليقبله قائلاً :

ــ كُتب لك عمر .. يابيه .. أي خدمة .. لو كنت مكانك لبصقت على من كانت معك في السيارة وتركتك ..

ــ شكرا .. شكرا ..

وتحركت السيارة فوق المزلقان (المغطي بالمياه ، وتاه نادر بسيارته وسط ضجيج الناس .. وعويل صفارات السيارات ..

وأشعل الكاتب لفافته ، وتصاعدت سحب الدخان منها وتاهت ذكرياته مع الدخان ...

القــاضي
سقـط في الحـمّام

دخـل سـيادة القاضـي الحمّـام وهـو يتـبختر في الصـباح الـباكر ، فالـيوم أجـازة ، ودخـل المغطـس المـلـيء بالمـاء الدافـئ ، والصـابون واسـتلقى فيه ، منتعـشاً ، محدثاً نفسه:

— يـا سلام .. وتحققت أحلامي .. وأصبح لي هذا المغطس لوحدي .. العز حلـو .. وأنـا صـاحب هـذا البيـت .. وعـندي مـئات الفدادين والأراضي .. وعندي ركوبـة آخـر موديـل .. وأمـوال بـالملايين في كل البنوك بأسماء مستعارة ، وبأسماء أولادي القصـر .. وباسـم زوجـتي الـتي لاتعـرف عـنها شـيئاً .. فقد جعلتها تكتب

إلي توكيلاً عاماً بكل شئ .. وباسم زوجتي الأخرى التي تزوجتها عرفي في مدينة أخرى .. وباسم أمي أيضاً بتوكيل عام .. حتى لا يبحث ورائي أحد .. ويقول لي من أين لك هذا يا قاضي ؟!!

ـ قاضي حرامي .. وغشاش .. ونصاب ...

وانتفض القاضي من المغطس .. وقد سقط قلبه بين جنبيه مذعوراً ، وتلفت حوله .. لا أحد في الحمّام !!

من صاحب هذا الصوت ؟! .. وتحدث مع نفسه ..

ـ أنا حرامي .. أنا غشاش .. أنا نصاب .. من يجسر أن يقول لي هذا .. لقد حاول خصومي من القضاة أن يثبتوا ذلك .. وفشلوا .. وحاول الذين سرقت أراضيهم وشققهم وقصورهم .. أن يثبتوا ذلك .. وفشلوا .. لأنني حريص كل الحرص على الهروب بما أسرقه ولا دليل على ذلك .. كله .. باسم القانون ..

ـ ولكنك كذاب .. وفاسق يا سيادة القاضي ..

وتملكه الذعر والخوف .. وتلفت في أنحاء الحمّام .. ولم يجد شيئاً وقال :

ـ من يحدثني بهذه الوقاحة .. سأدخله السجن فوراً ..

وسمع همساً :

ـ أنا يا سيادة القاضي الحرامي .. الغشاش .. النصاب ..

ـ من ؟

ـ أنا .. ألا تعرفني يا سيادة القاضي الفاسق ؟

ـ من أيها المجرم ؟

ـ أنا المجرم يا سيادة القاضي المجرم !!! .. الفاسق ..

ـ آه لو أعرف من أنت ؟

ـ أنا نفسك .. المحشورة في جسدك العاري .. لماذا تستحم .. هل لتغسل الأوساخ من جسدك .. وأنت كتلة أوساخ .. ؟

وقال القاضي في غضب شديد .. اسكتي أيتها الفاجرة

ـ أنا فاجرة يا سيادة القاضي .. الفاجر ! !

والله زمان يا قاضي .. عندما كنت تستحم وأنت في القرية المجهولة .. في طشت وأنت صغير .. تحت ظل جاموسة .. ملك للباشا صاحب القصر الكبير .. وأبوك يعمل عند الباشا كالبهائم ..

ـ هل نسيت كل هذا يا سيادة القاضي .. هل نسيت ؟

ـ اسكتي يا فاجرة

ـ أنا زهقت من نفسي .. وأنا نفسك يا سيادة القاضي من مرافقتك طوال تلك السنين .. وأنت تغش .. وتسرق كما كنت تسرق وأنت صغير بيض دجاج الباشا .. وتبيعها في سوق القرية كل أسبوع ..

ـ اسكتي يا فاجرة

ـ لماذا أسكت يا سيادة القاضي .. وعندما كبرت أنت كنت تحلم بأن تكون قاضياً حتى لا يقبض عليك أحد .. وتستغل القانون وثغراته في حماية ما تسرقه ..

ـ أنا أشرف قاضي .. في هذه المدينة .. فالكل يسرق بالملايين ..

ـ يا حرام ! ! يا حرام .. أنت فعلاً شريف .. لأنك تسرق بالملاليم .. وتسرق الفدادين من الفلاحين الغلابة .. والعمارات والقصور .. وتهدد كل من حولك بالسجن .. إذا لم ينفذوا ما تريد

ـــ أنـا الباشـا .. لابـد أن يـنفذوا مـا أريـد .. فأنا أتبرع للمساكين من أهل قـريتي .. وأبـني لهم بيوتهم المتهدمة وأعطيهم الأموال ليأكلوا .. وأعطيهم الملابس لتحميهم من برد الشتاء ..

ــ غشاش .. وكذاب يا سيادة القاضي .. فأنت تفعل ذلك .. لتجعلهم عبيداً يعملون في الأرضي التي تسرقها من كل مكان .. ويحرسون البيوت التي تسرقها من أصحابها .. حتى الكلاب ..

ــ الكلاب ؟!!

ـــ هل نسيت الكلاب التي أحضرتها من القرية لتحرس البيت الذي سرقته وجعلـتها تـأكل بعضـها مـن شـدة الجوع .. حتى الفلاح المسكين الذي أحضرته من القرية جعلـته ينام على الأرض بلا غطاء ولا طعام .. ويتسول الطعام من البوابين في العمارات الأخرى ...

ــ أنا كنت مشغولاً ..

ـــ طـبعاً .. أنـت مشـغول دائماً .. بالسرقة باسم القانون .. وإذا رفض أحد المساكين أن ينفذ أوامرك تهدده بالسجن أو تشريده وتشريد أولاده ...

ــ أنا .. لم أفعل ذلك

ــ كيف .. هل تكذب على أنا .. أنا نفسك يا سيادة القاضي أنسيت الفلاح الـذي أحضـرته مـن القـرية لـيعمل حارسـاً هـو وزوجـته عندك في البيت .. ويغسل سـياراتك .. ويلـبي طلـبات الهـانم زوجـتك المسـكينة الـتي تخـاف مـنك .. حـتى لا تسـجنها هـي الأخـرى إذا لم تنفذ لك طلباً .. هل تذكرة الآن ؟ .. عندما طردت هـذا الفـلاح المسـكين هـو وزوجـته في منتصف الليل حفاة .. لأن أختها زارتها دون إذنك .. تذكرت ؟

ــ آه

ــ أخير تذكرت .. وهل نسيت عندما ركعا تحت قدميك .. يستعطفانك أن تتركهما حتى الصباح .. ليعودا إلى القرية .. ولكنك يا سيادة القاضي طردتهما .. شر طردة .. وبكاؤهما لا يهمك .. والتف جميع بوابي العمارات المجاورة حولهما .. وأعدوا لهما مبيتاً حتى الصباح ..

ــ كلاب .. لم ينفذوا أوامري .. لا أحد يدخل العمارة إلا بإذني ..

ــ طبعاً كلاب عندك .. ألم أقل لك من قبل أنك لا تخاف الله

ــ أنا اخشي الله

وتضحك نفسه ساخرة .. قائلة :

ــ لن تقول ذلك .. إنني أسجل كل خطواتك .. لأقدمها إلي الله الذي خلقني .. ووضعني في سجن جسدك الطيني .. وأنا استجير من الله منك .. أيها الكاذب المنافق .. ماذا ستأخذ معك عندما تموت ؟ .. لا شئ .. حتى ولا نفس حشيش من الذي تدخنه في الشيشة ...

ــ اسكتي يا مجرمة

ــ أنا مجرمة يا سيادة القاضي .. الفرعوني .. ماذا أخذ فرعون معه بعد أن قتل الآلاف وقال أنا ربكم الأعلى .. انطق .. جاوب .. هل ستقدم استئنافاً .. أو نقضاً عندما يحكم عليك الله .. بإن تكون في قعر سقر .. هل سمعت عن شئ اسمه النار .. أو سقر .. وهي أسفل .. أسفلين النار .

ــ اسكتي .. اخرسي وإلا ..

ــ ها ها ها .. ماذا ستفعل بي أنا أيضا .. هل ستقتلني أنت جبان .. جبان ترتعد من همساتي .. يا سيادة القاضي .. لا تستطيع أن تمشى أو تتحرك إلا ومعك

عصابة لتحرسك .. من الناس .. وماذا ستفعل .. مع الله .. هل سيحميك هؤلاء الحراس المرتزقة من الله .. أم ماذا ستفعل ؟ .. تكلم .. يا سيادة القاضي .. وجدت لك الحل !!

ـ أنت أيتها الفاجرة .. ترشديني إلي الحل

ـ طبعاً .. عليك أن تستنجد بإبليس

ـ اخرسي

ـ لماذا ؟ .. أليس هو الذي جعلك تسرق مئات الفدادين باسم القانون .. ثم توزع بعضها على زملائك القضاة لكي يحمونك من أصحاب هذه الأراضي .. لو رفعوا عليك القضايا .. فيقفون بجانبك ..

ـ أنا لم أفعل ذلك

ـ عدنا مرة أخري إلي الكذب يا سيادة القاضي .. المشهود له بالنزاهة .. وبتنفيذ العدالة .. ألم تقل لكل من حولك .. أنك فوق القانون .. يا سارق القانون .. ماذا تريد من كل ذلك ؟

ـ أن يخاف مني كل من حولي .. وينفذوا طلباتي ..

ـ ماذا تريد من طلبات .. سرقت الأموال .. والعمارات والشقق .. والفدادين التي تفتح شهيتك ولن تشبع إلا عندما يضعون التراب في عينيك والديدان تأكل قطعة قطعة من جسدك الذي تنظفه في هذا الحمّام .. إن طلباتك لن تنتهي يا سيادة القاضي .. لأنك نسيت .. أن كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام ولن ينفعك المال والبنون .. والسلطان .. والجاه .. والصولجان .. إنني استجير بالله منك أيها القاضي الغبي ..

ـ اخرسي .. أنا غبي يا فاجرة ؟!!

ـــ لأنك لم تتعظ بما حدث للفراعنة الطغاة .. ماذا كانت نهايتهم .. لم يأخذوا شيئاً من هذه الدنيا الفانية واستقروا في أعماق سقر .. وأما غباؤك فيلازمك من زمان .. هل نسيت يوم أن قدمت شهادة ميلاد ابنتك للمدرسة .. وكانت مزورة ولما علمت بأن هناك لجنة تفتيش عن شهادات الميلاد .. أوعزت للفراش بإحراق الحجرة الموجود فيها دوسيهات التلامذة ...

ـــ اخرسي .. كيف عرفت ذلك ؟

ـــ ألم أقل لك أنك غبي .. كيف تسألني هذا السؤال ؟!! ألم أقل لك إنك معجون بطين الكذب والنصب .. أنسيت يوم أن زورت أوراق انتخابات مجلس إدارة المدرسة الموجودة فيها أبنتك .. ووضعت في صناديق الانتخاب .. أوراق كلها باسمك

ـــ وماذا في هذا .. إن انتخابات البلد نفسها .. مزورة ..

ـــ لأنك خبير بذلك .. وخاصة عندما كنت رئيساً لإحدى اللجان .. وزورت لكي ينجح شخص معين .. لتستفيد منه بعد ذلك .. في أن يغطي على سرقاتك الكبيرة .. ويساعدك ضد الذين يكشفون ألاعيبك .. يا سيادة القاضي

ـــ اخرسي ..

ـــ ولكن صاحبك سقط في الانتخابات الجديدة النزيهة لأنك لم تكن موجود بها .. وعاش هو بعد ذلك في وحل الفضيحة ..

ـــ وما ذنبي أنا .. إنه عبيط

ـــ عبيط .. لأنه لم يجد أحداً بعدك يزور له الانتخابات .. إن حياتك كلها غش وتدليس .. هل تعتقد أنك تضحك على الذي خلقنا ؟

ـــ إن الله غفور رحيم

ــ يا سبحان الله .. أي إله هذا الذي يغفر كل ما فعلت .. إلا إذا كان إلهك هو إبليس الذي فسق عن أمر ربه

ــ اسكتي .. سأقتلك ..

ــ ها .. ها .. ها .. حاول أن تفعل ..

ونهض القاضي من المغطس .. والصابون يغطى عينيه .. وخرج من المغطس ثائراً .. فانزلقت قدمه .. وسقط على الأرض الرخام .. فانكسرت يده اليمن .. وساقه وصرخ في ألم شديد ...

ــ ألحقونى .. ألحقوني .. آي .. آي .. ألحقوني .. أنقذوني ..

وقهقهت نفسه ..

ــ ها .. ها .. ها ....

الإسورة

أيـــن اختفـــت الإســـورة الذهبـــية التاريخـــية ؟

وقف حائراً بين كتبه وأوراقه المبعثرة في كل مكان ، إنه نسي المكان الذي وضع فيه تلك الإسورة الذهبية الغالية عنده .. والتي تحمل تاريخاً طويلاً .. وعمراً طويلاً .. لأنها تخص أمه التي رحلت عن هذه الدنيا منذ زمن . كانت هذه الإسورة من مقتنيات أمه أيام زواجها من والده ، ثم انفصلا . وعاش هو .. وهو صغير في حضن هذه الأم التي رفضت أن تتزوج حتى لا يأخذه والده ليعيش مع زوجة أب بعيداً عنها .

وظل يبحث في كل أركان الحجرة المليئة .. وكأنه فقد الذاكرة من كثرة الهموم التي انهالت عليه من كل جانب .. امتحان من الله .. ليري كيف يصبر .. وهل يستطيع مواصلة الصمود .

واستعاد أيام الزمان السحيق ، ليري كيف كانت أمه صابرة على المصائب التي انهالت .. خاصة بعد وفاة أمها ، وعاشت هي وهو .. أيام الحرب العالمية الثانية ، على دخل صغير من بيت قديم متهالك تركته لها أمها ، وكانت تبيع قطعاً من الغوايش ، لتفك أزمتها ، لكي تربيه ، وتنفق عليه أيام الدراسة وخاصة أيام الشتاء القاسية ، والأمطار التي لا تنقطع في الإسكندرية .. ونوّاتها .

وكان وهو في العاشرة من عمره ، يحس بكل شئ حوله ، وكأنه رجل عجوز ، وهو يرى أمه تكافح ، وترفض الرجال الذين يتقدمون للزواج منها ، خشية أن يأخذه منها والده ، ليعيش بعيداً عنها .

ويتذكر الأيام السحيقة التي ضاقت فيها الحياة أمامها أيام الحرب ، وكادت أن تبيع هذه الإسورة الذهبية ، لتخرج من تلك الأزمة الطاحنة ، لولا أنها باعت جزءاً من البيت المتهدم لاخوتها البنات المتزوجات ، وهن أكبر منها .

وكان هو يحاول أن يمتنع عن الأكل حتى يوفر لها جزءاً من النقود ، وكانت تضربه لكي يأكل ، خشية أن يمرض ، وكان يمتنع عن لعب الكرة مع الأولاد في المدرسة ،حتى لا يبلى الحذاء وتضطر إلي شراء حذاء جديد له . ويقف بعيداً ينظر إلي الأولاد وهم يلعبون الكرة .. ويطلبون منه اللعب معهم لأنه كان بارعاً في اللعب .

وعـندما يعـود إلي البيت ، يجلس القرفصاء ، ويذاكر دروسه حتى ينجح وتفرح به أمه ، ويطلب من الله أن يكبر ، لكي يعمل ، ويساعد أمه . ويجعلها تستريح .

وتذكـر ذلـك الـيوم الرهيـب ، عـندما دكـت طائـرات الألمان الإسكندرية في أكبر غـارة اسـتمرت سـت سـاعات ، فقـد كانـت قـوات رومـل في العـلمين ، وكـان خلاصـها ، ونجاتهـا في الاسـتيلاء عـلى الإسـكندرية ، لـتخرج الإنجليز من هذا الميـناء الخطـير ، وتـنقذ حياة الآلاف من الجنود الألمان من الموت ، فقد فقدت الماء والذخيرة . وكانت معركة حياة أو موت .

واضـطر أهـالي الإسـكندرية إلـي تـرك الإسـكندرية ، أو الهجـرة إلـي الـبلاد المجـاورة ، ورأي أمـه وهـي تضع هذه الإسورة في حزام من القماش صنعته بنفسها ومعهـا بعـض الـنقود وقليل من الغوايش ، وتربط الحزام حول بطنها .. لتهاجر مع اخوتها إلي (ادكو) القريبة من الإسكندرية التي أصبحت مدينة أشباح .

وامـتلأت مآقيه بـالدموع وتساقطت حاملة معها تاريخ طويل ، وذكريات بعيدة عـن صبر أمـه ، وكفاحهـا . وبـدأ يبحـث في الحجـرة هنا وهناك عن تلك الإسورة الذهبية .. التي دفعته روح أمه إلي أن يهديها إلي تلك الفتاة التي قدمت له نفسها ، ويـتزوجها ، بعـد أن مـر بمحنة عنيفة . تاركاً خلفه كل شئ ، خاصة بعد وفاة أمه النبع الحقيقي للحب في هذا الوجود .

واندفـع بقـوة ، يقلـب كـل شئ في الحجرة ، ويحاول أن يتذكر أين وضعها مع بعض الحلي التي قدمها لفتاته .

وجلس يقرأ سورة الضحى ليستعيد ذاكرته .. وكأن روح أمه تشاركه في البحث عن الإسورة الغالية . وانحشرت يده داخل إحدى الدوسيهات .. ودق قلبه بعنف ، وأحس بالسعادة تسرى في كل ذرة دم في جسده . وأخرج اللفافة الصغيرة ، ورأي الإسورة .. فقبلها .. وانهمرت دموعه غزيرة .. غسلت الإسورة التي لا تقدر بمال قارون ، وأغمض عينيه وغاب عن الوجود .

فرحـة في المشـرحة

دق جـرس التلـيفون في مكتـبه ، ورفـع السـماعة ، ليسـمع صـوتاً يعـرفه يقول له :

ــ الحق بسرعة .. زوجتك أخذت ابنك .. وذهبت إلي محطة سيدي جابر للقطار .. لتسافر إلي أهلها .. وهي غاضبة . القطار سيتحرك بعد نصف ساعة

ووضـع السـماعة ، وقـد توقفت ذبذبـات مخـه ، وقـد تملكه الغضـب ، من هـذه الـزوجة الناشـز ، الـتي تـنغص علـيه كـل وقـته ، محدثـا نفسـه .. لعنة الله علـيها .. ولكـن مـا ذنـب ابـني الصغير .. الذي كان هدية الله بعد عذاب طويل في المستشـفيات .. إلـي أن ولـد . ألا تحمـد الله أن رزقـت بهـذا الابن ، بعد أن سقط حمـلها عـدة مـرات لضـعف رحمهـا .. لعـنة الله علـيها .. ومـاذا جـني هـذا الصغير ، لتعذيبه معها وتبعده عني .. وأنا أشقي كل يوم في العمل طول النهار .

وتـرك العمـل بسـرعة لـيأخذ سيارة أجـرة .. ليـلحق بالقطـار ، وقُلـبه يدق بعـنف ، وقـد جف ريقه في فمه ، وأحس بأنه سيتقيأ من شدة الانفعالات . ومرت الدقـائق كأنهـا الدهـر .. إلي أن وصل إلي محطة سيدي جابر .. والقطار يصل إلي المحطة ، ونزل بسرعة من سيارة الأجرة .. وانطلق كالصاروخ إلي القطار .. يبحث عـن وجـه ابـنه الوحيد .. الصغير . ودخل إلي عربات القطار .. يمرق بين الركاب بسـرعة يـنظر هـنا .. وهـناك في كـل الوجـوه .. عله يري وجه ابنه الصغير .. وبدأ القطـار يـتحرك .. وهـو مـا زال بداخـل القطـار .. يبحـث هـنا وهـناك ولم يجـد شيئا .. فنزل من القطار وهو يتحرك .. وكاد يسقط على الأرض ، لولا أن أمسك به بعض الواقفين الذين يودعون أهليهم المسافرين . ووقف هو مذهولا ، ساكنا كالتمثال لـولا صـوت دقـات قلبه المضطربة .. العنيفة ، والعرق يتصبب من وجـهه ، وأحس بدوار عنيف ، وجفاف حلقه ، وكاد يسقط على أرض المحطة مرة أخري .

وخرج من باب المحطة ، ليستقل ترام الرمل ذاهبا إلي البيت ، لعله يجدها ويجـد ابـنه . ووقف ينتظر قدوم الترام ، ووجد الركاب في زحام شديد ، واستغرب لهذا الزحام ، واقترب .. وسمع بعض الركاب يقولون :

ـــ لا حـول ولا قـوة إلا بـالله .. لم يسـتطع سـائق الـترام .. إيقـاف الترام .. وداس المرأة وابنها الصغير ..

انفجـــرت تلـــك الكـــلمات في رأس صـــاحبنا .. أتكـــون هـــذه المـرأة والابـن الصـغير .. همـا زوجته وابنه .. كاد يغشى عليه عندما تخيل ذلك .. ولعن تلك المرأة الهوجاء .. ولكن ما ذنب ابنه الصغير الحبيب إلي قلبه ولم يتجاوز الخمـس سـنوات ؟! وسأل بعض الواقفين عن تلك المرأة وابنها الصغير .. كيف كانا يـرتديان مـن الملابـس .. ولكـنه لم يعـثر عـلى إجابة ، فقد جاءت سيارة الإسعاف

ونقلتهما إلي المشرحة . وبقيت آثار الدماء على شريط الترام .. ونظر إلي الدماء التي غطت الأرض بين قضبان الترام .. والزلط الصغير ..

وعادت به صورة الدماء إلي الوراء .. عندما استيقظ ذات ليلة ووجد نفسه غارقا في الدماء فوق السرير .. وبجانبه زوجته تبكي .. وتئن من الألم .. وتصرخ .. لقد كانت تنزف .. وكانت حاملاً في ابنه الصغير ستة أشهر .. بعد أن أجهضت عدة مرات .. وأخبره الأطباء بأن رحمها يطرد أي شئ وقد ملأه الفرح .. عندما عالجها أحد الأطباء .. وطلب منها عدم الحركة .. ومرت تلك الأشهر الستة في سلام .. إلي أن وجد نفسه غارقاً في الدماء .. وهرع إلي الحمام .. وغيّر ملابسه وصعد إلي الجيران .. يطلب منهم أن يمكثوا مع زوجته ليستنجد بمديره في العمل .. الذي له علاقات مع المستشفيات والأطباء .

وتركهم ، وركب إحدى سيارات الأجرة .. ذاهبا إلي المدير الذي كان يسكن بالقرب من محطة الرمل . وكانت الساعة الخامسة صباحاً ، ولم تشرق الشمس بعد ، وصعد إلي مسكن المدير .. وقد جف حلقه ، وتثلجت يداه ، ودق جرس الباب الذي فتحه المدير بعد فترة وفوجئ بصاحبنا وسمعه يقول :

– إن زوجتي تموت .. أرجو أن تنقذني .. لنذهب إلي المستشفي التي أنت عضو في مجلس إدارتها ..

وكانت تلك الكلمات .. دقات عنيفة على رأس المدير الذي كان يحب صاحبنا ، وزوجته . وأفاقت الكلمات المدير من غفوة النوم . وطلب منه أن يستريح لحظة .. ريثما يرتدي ملابسه . ومرت الدقائق كأنها الدهر ، وقد فرت الدماء من وجهه ، وخيل إليه أنهما سيذهبان إلي البيت ، ويجدان الزوجة قد فارقت الحياة ، ومعها الجنين .. أيضا .

ولم يشعر بالـزمن ، إلا عـلى صـوت المديـر وهـو يقـول له : هـيا بـنا .. لا تضطرب هكذا .. سيكون كل شئ على خير ما يرام ..

ــ يارب .. أنا آسف لإزعاجك في هذا الصباح .

ـ لا تقـل هـذا .. إنـك أخـي الصـغير .. لا تقلـق .. كـل شـئ سـيكون على ما يرام .

ــ وهـرعا بالسيارة (المرسيدس) .. بسرعة كبيرة وكادت تنقلب عند منحني فـندق (سـان جـيوفاني) .. لـولا أن اسـتطاع المديـر السـيطرة عـلى السيارة . ووصلا إلي البيت ..

وسمعـا صـراخ زوجـته .. فاطمـأن قلـبه إلي أنها ما زالت على قيد الحياة . وأسـرعا إلـيها ، ووجـدا الجـيران ملـتفين حولهـا يطمأنونهـا .. وغطاهـا (بـالطو) .. وركـبوا السـيارة بسـرعة .. ذاهـبين إلـي المستشـفي . وكـان المديـر قـد أخبرهما بالتليفون .. أن يجهزوا غرفة العمليات لإنقاذ الزوجة . وفعلاً عندما وصلوا إلـي المستشـفي كـان الطبيب في انتظارهم . وأسرعوا بالزوجة إلي غرفة العمليات .. وعـندئذ فقـط ، بدأت الطمأنينة تتسرب إلي قلب صاحبنا . ودعا الله أن ينقذها من أجل الجنين .

مرت كل تلك الصور في ذهن صاحبنا وهو ينظر إلي الدماء التي افترشت الزلط الصغير بين قضبان الترام لتلك المرأة وابنها بعد أن دهستهما الترام ..

المشــــــــــرحة .. المشــــــــــرحة .. المشــــــــــرحة ..

وتنبه صاحبنا إلي تلك الكلمة التي ارتسمت في تلافيف مخه ، أين المشرحة ؟ فليذهـب إلـي كلـية الطـب .. لا شـك أن جثـتهما ستكون هناك .. واستقل بسرعة سيارة أجرة ذاهبا إلي المشرحة .

وفـي الطـريق ، لم يـر أي شـئ ، ومـرت صـور ابـنه الصـغير . عـندما حـان وقـت ولادتـه ، وذهـب بزوجته إلي نفس المستشفي ، واستدعي أخته لتكون بجانـبه ، وهـناك وعـند منتصـف الـليل نـام عـلى كرسـي .. منـتظرا لحظـة الـولادة ، ولكـنه فوجـئ بالطبيـب يوقظـه مـن الـنوم ، ليطلـب مـنه الموافقـة عـلى إجـراء عملـية قيصـرية لزوجـته ، لأن الـزوجة لا تسـتجيب للـولادة الطبيعـية . ووافـق صـاحبنا والـنوم يطـبق عـلى عينـيه .. ونـام مـن شـدة الإرهـاق الـذي عاناه طوال الأيام الأخيرة للولادة .

واستيقظ مرة أخري وأخته تهزه بلطف قائلة له :

ـ استيقظ .. جاءك ولد ..

ـ نعم .. ولد .. ولد .. الحمد لله .. الحمد لله ..

وحـــاول أن يـــنام وهـــو لا يـــدري مـــاذا حـــدث ؟ .. ولا يـــدري أيـــن هو ؟ .. وأخير .. أفاق من النوم .. صائحاً ..

ـ ولد !! ولد !! .. أين هو ؟ .. أين ؟

وجـري مسـرعاً ، وهـبط سلالم المستشفي .. يسأل عن الدكتور ، قالوا له إنه مـازال في غـرفة العملـيات يسـتكمل إنهاء العملية الجراحية .. وأخبروه أن ولده في حجرة الأطفال مع الممرضة .. وصعد مرة أخري إلى حجرة الأطفال ودخل الحجرة ، فوجـد ابـنه الصغير .. عاريا .. يبحلق فيه .. دون صراخ كما يفعل الأطفال حديثي الـــــولادة . وظـــــل يـــــتأمله ، عيـــــناه ســـــوداوان وكـــــأن الحـــــزن يعشـش فـيهما . فقـبله ، مبـتهجا ، ووقـف يـتأمله بفـرحة ، وجـاءت الممرضة .. وقالت له : (مبروك يا أستاذ)

فأجابها :

ـ شكرا .. شكرا.. ولكن لماذا لا يصرخ .. كبقية الأطفال ؟

ـ لقد صرخ كثيرا وهو في حجرة العمليات ..

ـ آه العمليات .. إن زوجتي ما زالت هناك ..

وهرع مرة أخري هابطا السلالم ، فوجد أخته في الاستراحة ، وقد هجم عليها النوم هي الأخرى .. كانت الساعة قد قاربت الثالثة صباحا ، ورأى الطبيب خارجا من حجرة العمليات ، فهرع إليه ، ليطمئن على زوجته

ـ مبروك يا أستاذ .. كل شئ على ما يرام

ـ شكراً يا دكتور ..

ـ ستخرج بعد قليل .. وعليها أن تستريح كثيراً فقد تعبت كثيراً ..

... ...

ووقفت سيارة الأجرة ، وسمع صوت السائق يقول له

ـ كلية الطب يا أستاذ ..

ـ شكرا ..

وأعطاه الأجرة ، وهرع إلي داخل الكلية ، يسأل عن مكان المشرحة ، ووصل إليها ، وسأل عن جثة سيدة وطفل ، هرستهما الترام . وعلم أن جثث الحوادث لا توجد في الكلية ، وإنما في المشرحة العامة ، عند ملعب الإسكندرية ، بجوار مقر الإسعاف في كوم الدكة . وكان المكان قريب ، فمشى إلي هناك ، وهو كالنائم مغناطيسياً .

وصور ابنه الصغير ، تتزاحم في ذهنه ، وخاصة عندما كان يقيم حفل عيد ميلاده ، ويحضر الأهل والأصدقاء . وكان يحس في تلك اللحظات .. كأنه

امتلاك الدنيا ، وأن ابنه وهو يحمل اسمه .. سيكون خليفته ، ويفتخر به .. عندما تتقدم به السن .

ولكن هذه الزوجة المجنونة التي تترك البيت لأي خلاف صغير ، وتخطف معها ابنه الصغير . لتجبره على تحقيق مطالبها التافهة . ودائما لا تقف عند حد في مطالبها المادية . وهو يشقي ليل نهار .. وكل ساعة ، حتى في نومه يفكر فيما سيفعله في الغد ، لكي يزيد دخله الشهري .

واقترب من مكان المشرحة العامة ، وتلاشت كل الصور ، وقلبه ازدادت حركة ارتجافه ، وازداد جفاف حلقه من شدة الخوف ، عندما يتحقق ويري جثة ابنه الصغير ، ودخل إلي المشرحة ، وأخذه الشرف ، إلي مكان الجثة ، خاصة وأن هناك امرأة وابنها .. قد احترقا في المطبخ ، ولكنه طلب أن يري جثة المرأة التي دهستها الترام وابنها الصغير عند محطة سيدي جابر . واقترب المشرف من مكان الجثة ، وبدأ يزيح الملاءة البيضاء من فوقها ، وكأنه ينزع قلب صاحبنا من مكانه .

ـ وقال المشرف : ها هي ذي جثة المرأة وبجانبها جثة ابنها

ويحلق صاحبنا في الجثتين ، مذهولا .. لم تكن جثة زوجته ، ولا جثة ابنه . ولم يشعر بشيء ، وصاح المشرف : أستاذ .. أستاذ ..

وسقط صاحبنا على الأرض مغشياً عليه من عنف الفرحة لم يكن ابنه الحبيب !!

حكـــاية أب مذبـــوح

هـذه المذكـرة يـا حضـرات القضاة .. قد أذنت لوكيلي بأن يقدمها إلي عدالة المحكمـة .. حـتى لا تكون الجلسة علنية . وهذه المذكرة قد كتبتها من دمائي التي تنزف مـن قلبي .. بعد الصدمات العديدة التي مررت بها ، ولا يستطيع رجل أن يتحملها من أجل الأولاد . واليكم تلك الكلمات التي سطرتها قطرات دماء قلبي .

(كانت تسكن في غرفة ضمن بدروم يحتوي على ثلاث غرف ، وكنا نسكن في الدور الذي يعلو هذا البدروم . وكانت هي إذ ذاك صغيرة السن هي وأختها وأمها . وتبدو عليهم مظاهر عز قديم ، لأن أمتعتهم كانت تضم أشياء راقية ، أخذوا يبيعونها تدريجياً إلي موظف كان يسكن في الدور الذي فوقنا .

شعرت نحوهم بشفقة ، وأخذت في مساعدتهم بقدر ما أستطيع ، وتحولت الشفقة إلي حب صادق . وعزمت على الزواج منها . وكنت اعتقد أن الزواج من الفقيرات الصالحات ذوات الأصل الكريم ، خير من زواج الفتيات المتبرجات ، والمندفعات وراء تيار المدنية الغربية .

ولقد طمأنني ما وجدتها عليه من طيب الأخلاق ، ومما سمعت منها عن أهلها ، وأفراد عائلتها .. من أكابر الرجال .

وبعد أن تم تعييني موظفاً في الحكومة بمرتب معقول ، نفذت رغبتي ورغبتها ، وتزوجتها ، بغير علم من أحد من عائلتي ، لثقتي أن ذلك سوف لا يرضيهم ، وأنهم سيبذلون جهدهم في تحويلي عن رغبتي .

وكانت راضية قانعة تشعر بالغبطة ، لتوفيقها إلي هذه المعيشة الزوجية التي ما كانت تحلم بها ، وكانت تجتهد في تعلم تدبير المنزل ، لأنها كانت لا تعرف عنه شيئاً ، وكان يهمها جداً أن أكون مسروراً إلي جانبها ، وأن أشعر أنها من الوجهة المنزلية ليست أقل من أي زوجة أخرى . وكنت من جهتي أقابلها بالمثل ، وكنت أحرص كثيراً على عدم جرح إحساسها بأي عمل كان .

وهكذا استمرت الحياة بيننا عاماً كاملاً في بلدة قريبة من الأرياف ، وفيها تمكنت من شراء أثاث متوسط للمنزل ، وكنت أتمنى أن تساعدني ظروفي المالية ، فأكمل لها كل ما تتمناه السيدات في بيوتهن . وفى هذا العام رزقنا الله مولوداً ، وكان قرة عين لنا ، وينبوعا من السرور لا ينضب .

وبعد انتهاء هذه السنة ، انتقلت إلي القاهرة حسب ظروف عملي ، ومن هنا بدأت المتاعب . فقد اقتربنا من أهلها (والدتها ، وأختها ، وزوج والدتها الذي كان لصا ، متشردا ، وسجن عدة مرات .. واضطرت أختها إلي الزواج ، ثم طلقت بعد ثلاثة أشهر ، واشتغلت راقصة في الصالات العامة ، وكانت تلك الأم وزوجها يعيشان مما تجلبه لهم من هذا الطريق .. ومن سواه .

وإزاء هذه الأحداث ، لم يسعني إلا إبعادهم عن زوجتي ، حتى لا تلوثني ، وتلوثها سمعتهم . فكنت لا أوافقها على زيارتهم مطلقاً ، وكنت أنتحل الأعذار للتخلص من ذلك عند طلبها .

ولكن كانت هذه السنة ختام الراحة في حياتي ، وبداية المصائب . فقد أثرت فيها وجاهة أختها ، وسهولة كسبها للمال ، عندما كانت تزورنا في بعض الأحيان . وعندئذ أخذت زوجتي تتبرم بمعيشتها معي بهذا المرتب المحدود ، الذي أصبحنا ننفق منه على مولود تعيس . وأصبحت تحسد أختها على ما هي فيه من الحرية والأبهة . ولقد زينت لها أمها طريق الفساد . وحببت إليها الخلاص مني ، ومن معيشة الزوجية ومتاعبها . ولقد أخذت أمها تعد العدة

لذلك ، وتضايقني بكثرة زياراتها ، وانتقاد معيشتي ، وأحوالي ، ومعايرتي بفقري ، وعدم مساعدة أهلي لي بالمال ، كما لو كانوا زوجوني .

وكنت أدرك ما ترمي إليه من وراء هذه المناورة ، ولكني أهملته لقرب انتقالي إلي الإسكندرية ، والابتعاد عنهم . وفى هذه الحالة يبعد التأثير عن زوجتي ، وأعود إلي راحتي السابقة .

وبعد عدة أيام توفيت حماتي فجأة ، فظننت أن ذلك خيراً . وعرضت على أخت زوجتي أن تترك حياتها الحالية ، وتعيش معنا معيشة الأشراف فلم تقبل ، فنبهت عليها ألا تبحث عنا ، وألا تحاول زيارة أختها بعد ذلك .

بعد سفرنا إلي الإسكندرية بقليل ، رزقنا بمولودة غير سعيدة ، ولقد تصافيت مع أهلي جميعاً ، وأحبوا زوجتي كثيراً ، وجميعا وبدون استثناء لظهورها بأخلاق طيبة ، وصفات حميدة ، جعلتهم يعطفون عليها . وكان ذلك في الوقت الذي كنت أراها فيه تظهر مللها وضجرها ، وربما أسفها لضياع الفرصة منها بموت والدتها . ولكني كنت أنتظر أن يمحو الزمن تلك الرغبة ، وأن تنمو مداركها تدريجياً ، فتفهم الحياة أجلي مما تصورتها .

ولكن لسوء حظي حضرت أختها إلي الإسكندرية بعد عامين مع إحدى الفرق كراقصة ، وذهبت إلي محل عملي ، ولسوء حظي أيضا أنها لم تجدني هناك ، فاسطحبها الفراش الخاص بعملي إلي منزلي ، بعد أن عرفته بشخصيتها . وهكذا عرفت طريق منزلي ، وتوالت زياراتها لزوجتي في أوقات غيابي في عملي .

وهـنا بـدأت المتاعـب ، وبـدأت أري الـتغير في أخـلاق تلـك الـزوجة واضـحاً ، فهـي تخـرج بـدون إذنـي ، وتـزور بـيوت كـثيرة لا صـلة لـي بأهـلها ولا أعـرفهم . ويـزورها كثيرات ممن تزورهم ، وأصبحت رغباتي لا يهتم بها ، ولا يطاع لي أمر ، وبعد قليل دخلت في زمرة المتبرجات والموضات وغير ذلك .

كـل ذلـك حـدث رغمـا عـن تشـديدي ، وبذلـي كل ما أستطيع من نصح في لين ، وتأنيب في شدة ، وإهانة في عنف ، وضرب في توحش . وأنا بين هذا وذلك أعـود إلي اللين والتلطف ، ولكن كل ذلك بدون جدوى . فكانت دائما تترك المنزل في أوقـات غيابي ، وتعود إليه قبل حضوري ، ولا أتنبه إلا إذا تصادف ، ورجعت إلـي البيـت فجـأة . ولا غـرابة فلقـد كانـت محتاطة لذلك تماماً ، فكانت تستخدم الخادمـة في أغراضـها الخاصـة ، وكانـت تضـرب الأولاد يومـيا وتهددهـم إن هـم أخبروني بذلك (وتلك هي ذكراها الوحيدة عندهم الآن) .

ولقـد وصـلت بهـا البجاحة إلي درجة أنها كانت تقول أمامي أن أكبر غلطة عملـتها أنها قبلت الزواج من موظف ، وأنها ما قبلت زواجي إلا أنني سوف أكون غنـيا ، وأن أهلـي أغنـياء ، ولكـنها عـلى العكـس خـاب أمـلها ، وأنهـا لم تفـرح بالدنيا ، ولم تتمتع في حياتها ، ولذا فإنها لا تستطيع تقضية حياتها بهذا الشكل .

كنت أندهش والأولاد لتماديها بهذا الشكل في الأخلاق ، والأفعال ، والأقوال وعـلاوة عـلى ذلـك فإنهـا أهملـت المـنزل والأولاد ، وصـار همهـا الوحـيد .. قـص الشـعر ، وصـبغه وتجمـيله ، وكيه ، وتجميل الوجه والأظافر ، والخروج باستمرار

بكـل تـبرج ، وغير ذلك من الأمور ، مع أني ما قبلت الزواج منها إلا لتخيلي أنها ستكون بعيدة عنها ، لترضيني ، لأنني أكره كل هذه الأشياء وأمقتها .

إزاء كـل هـذا .. فكـرت في أن أطلقهـا ، ولكـن وجود الأولاد كان يثنين عن عزمي ، وأعود إلي نصحها بكل الطرق الممكنة ولكن بدون جدوى .

وفـى أحـد الأيـام عـدت إلـي المـنزل قـبل مـيعادي بسـاعة ، فـلم أجدهـا في المـنزل ، ووجـد الخادمة تقوم بعملية طهي الطعام بنفسها مع أنني كنت أظن أن الطعـام لا تطهـيه غـير زوجـتي ، وسـألتها أيـن ذهبـت ؟ .. فأجابـت أنهـا لا تعرف ، ومتى ذهبت ؟ .. فأجابت بعد أن خرجت أنا من البيت ذاهباً إلي عملي.

وجلست أنتظرها حتى عادت ، ففتحت لها الباب بنفسي ، وإذا بي أجدها بشـكل أخجـل أن أسـير معهـا بـه ، لا يخـتلف عن أشكال الارتستات والراقصات والعاهـرات .. فاندهشـت ، وعـند رؤيـتها لـي اصـفر لـون وجههـا بشـكل يلفـت الـنظر ، وحاولـت إخفـاء شـئ معهـا ، طلبـت مـنها هـذا الشـيء فوجدتـه دواء للأسـنان وكـريم للوجـه . طلبت مـنها شـنطة الـيد ، وبحثت فيها ، فوجدت بها مـبلغاً مـن المـال . في حـين أنـي لم أعطـيها هـذا المـبلغ ، فسـألتها عـن مصـدر الـنقود ، فقالـت .. إنهـا نقـود الخادمـة وسـألتها عـن دواء الأسـنان وعـن كـريم الوجه ، فأجابت أنها اشترتهما من محل كذا . وعندما سألتها عن الثمن ، ارتبكت وتلجلجـت .. وقالـت ثمـناً خـيالي ، وتـبين لـي كذبهـا ، وبدأ الشك يتسرب إلي رأسـي ، وللـتأكد ، فضـلت أن أتوجـه إلي المحل الذي ذكرته ، وكان بالقرب من البيت ..

وذهبت إلي المجل المذكور ، وأخذت الأشياء معي ، وعرضتها على الموظفة المختصة ، فأخبرتني أنها لم تبع هذه الأشياء ، وأنها ليست من المحل لأنه يضع علامة مخصصة على بضائع محله .

ورجعت إلي البيت والغيظ يتملكني ، فلم أجد سوي الولد والبنت والخادمة ، وزوجتي لم أعثر لها على اثر . وسألت الخادمة عنها ، فأجابت بأنها خرجت بعدى بقليل ، وأخبرتها أنها سوف لا تعود . فقالت لها : والأولاد .. فأجابت (أهم عنده يعرف شغله فيهم) ..

بحثت عنها في الإسكندرية فلم أعثر لها على أثر ، ولم أخبر أحد من أهلي بذلك ، لأني أنا الذي جنيت على نفسي ، ويجب أن أتحمل وحدي نتيجة ما فعلت .

وبعد يومين قضيتها في أسوأ حال ، وصلني خطاب من زوج خالتها ، ينبئني بأنها وصلت إلي القاهرة ، ويصف لي محل سكنه لكي أهتدي إليه عند سفري لإحضارها .

هدأت قليلاً ولكن أخذت في البحث والتحري عن سلوكها حتى علمت أنها تحب شاباً يسكن بالقرب من منزلي ، وأن بينها وبينه علاقات غير شريفة ، وكانت عائلة هذا الشاب تزورها وهي تزورهم ، وهنا أدركت سر ما طرأ عليها من التغير في المرة الأخيرة ، وعرفت أنها فقدت شرفها ، وأصبحت غير أهل للمعاشرة .

ولكن جال بخاطري ، أنه ربما يكون ذلك كله كذب وافتراء ، فسافرت إلي القاهرة . وهناك أخبرتها بالموضوع بحضور خالتها وزوجها ، وطلبت إن كان ذلك

صحيحاً أن أخلي سبيلها ، لتعيش كما شاءت ، على شرط ألا تطالبني بشيء وألا تتعرض لأولادها . وإن كان غير صحيح أن تسافر معي في الحال ، وتثبت براءتها في مواجهة من أخبروني من الجيران ، ونعيش بعد ذلك كما كانت في أول الزواج .

سافرت معي إلى الإسكندرية تصحبها خالتها ، وأحضرت من أخبروني ، وكذبتهم ، وشهد لها كثيرون من الجيران بأنها شريفة ، وكلهم من صديقاتها ، وانتهى الموضوع بأني أظهرت أنني مقتنع ، ولكن في الحقيقة أنني أدركت من سياق المناقشات أن هناك شيئاً ، وعزمت على تغير المنزل إلى منزل آخر ، والتدقيق في أحوالها ، ومراقبتها حتى أتبين مدى علاقتها بذلك الشاب بنفسي .

وعرفت رقم تليفون ذلك الشاب ، وخاطبته منتحلاً صوت سيدة ، وأفهمته أنني هي .. فخاطبني .. (أهلا وسهلا .. ازيك .. أنت فين دلوقت .. أنت بتتكلمي من مصر والا من الإسكندرية) .

وعرفت من أحد الجيران أنهم رأوها عدة مرات تنزل من سيارة في مكان بعيد عن المنزل ، ثم تصل إلى المنزل سيرا على الأقدام ، وكان يرافقها في هذه السيارة .. ذلك الشاب . وكان اسمه (عبد اللاه)

وانكشفت الحقيقة ، وأدركت درجة تبجحها ومقدرتها على تكذيب الصادقين في وجوههم بدون حياء ، عزمت على طلاقها مهما كانت النتيجة . ولكن تذكرت الأولاد .. وعدلت عن عزمي حتى لا يفقدون والدتهم ..

ولشـد مـا كانـت دهشـتي أنهـا أخـبرتني أنهـا سـتتناول بعـض الأدويـة للإجهاض ، لأنها حامل منذ شهرين ، ولقد عارضت في ذلك ، وأصرت هي بحجة أنهـا لا تريد التعب ، وتركتها وشأنها .. في النهاية ، فأجهضت . ولازمت الفراش ومرضـت ، وأيقنـت أن الله سينتقم منها بالموت من الآلام الشديدة التي كانت تشعر بها.

وفـى هـذه الأيـام تحـرك ضميرها الذي قتلته ، وصارت تتودد اليّ ، وتطلب اليّ أن أسـامحها . وكانـت تكـثر مـن الـبكاء ، وتذكـرني بأيامـنا الماضـية بأسـف شديد ، ولقد حرّكت في شفقتي وعطفي ، وكنت أعاملها طول هذه المدة معاملة الأخ الحنون . وأمام ظروفها هذه تصورت أنها تابت إلي رشدها ، وصممت على أن افتح لها صدري ، وادفن الماضي في زوايا النسيان .

وتماثلـت للشـفاء ، ولاحظـت علـيها كـثرة الـتفكير ، فظننـت أن ضـميرها يوبخهـا ، فكنـت أسـري عنها بكل ما أستطيع من الوسائل ، وبعد أن تم شفاؤها عـادت إلـي الـتذمر ، والـتأفف ، والمعاملة الشديدة ، فظننت أن أعصابها متهيجة لشدة التأثير مما احتملته من آلام ..

وفـى ثالـث يـوم العـيد الكـبير أخـبرتني أنهـا تـود السـفر مـع خالـتها إلي القاهـرة ، وتمكـث مـدة شـهرين أو ثلاثـة . وتستأجر منزلاً صغيراً ، ومتى ابتدأت الاجـازة الحـق بهـا ، ونمكـث هـناك بقـية الاجـازة ثـم نعـود إلـي مـنزل آخـر بالإسـكندرية . وهـذا كلـه بحجـة أنهـا ربمـا إذا فارقـتني يعـود ميلها إلي المعيشة معي ، والرجوع إلي حالتها الأولى .

كلام غريب غير منتظر . قلت لها .. خذي الأولاد معك .. والخادمة، ويمكنني أن أبقي وحدي . قالت .. (لا أريد الأولاد معي .. لأن اشتياقي إليهم سيجعلني أرجع لهم) .

وهذه الأشياء لا يفهمها عقلي . قلت لها (وإذا منعتك من السفر) . قالت بلا وعي .. (اهرب حتماً) .

إذن لا بأس من أن تسافر ، وتعهدت خالتها بمرافقتها ، ورأيت عدم الضغط عليها حتى لا تتهيج أعصابها ، ولم اكُنْ أدري أن الحية ستظل حية ، أو لعلي تجاهلت ذلك في هذه الحالة . وعلى العموم كانت يد القدر تدير الأمور كما تشاء .

سافرت مع خالتها في رابع يوم العيد الكبير ، تلك الأيام التي لا أتصور كيف تفارق أم أطفالاً فيها . لقد ازداد شكي منذ ذلك في صدق عاطفة الأمومة . قمت بتحريك عاطفتها المعدومة ، وجعلت الأطفال يتشبثون بها فردتهم عنها بقسوة وخشونة ، تقل عن خشونة الحجر .

طلبت منها في الحال أن تكتب تنازلاً عن الأولاد حتى لا تستطيع المطالبة بهم ، والالتجاء إلي المحاكم . فقالت ، لا تخش شيئاً واكتب ما تشاء .. وأنا أمضيه لك . وفعلاً كتبت الورقة الأولي بالتنازل ، ووقعت هي عليها ، وشهدت عليها خالتها .

وجمعت ملابسها ، وسافرت ، وهي مغتبطة .. لا أدري من أين جاءها هذا الاغتباط والسرور ! !

وفي يوم جاءني خطاب من صديق لي بالقاهرة ، أخبرني فيه أنه رأي زوجتي مع أختها الراقصة في إحدى الصالات ، وأنه يخشى إن أنا انتظرت وسكت عنها ، فسوف تسوء حالتها . وطلب اليّ الحضور سريعاً ، وقد كتب إلي زوج خالتها بذلك أيضا ..

وسافرتَ إلي القاهرة ، واستقبلني صديقي ، وتوجهنا إليها في منزلها الذي استأجرته . فوجدنا خالتها وحدها فيه . فسألت عنها ، فأخبرتني أنها خرجت وقالت إنها ستعود في المساء . فانتظرتها ، وكان اليوم يوم خميس ، فلم تحضر طول الليل ، ولا طول يوم الجمعة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، عندما دقت الباب ، ففتحت لها ، لكي أري أمامي غانية ، وتفوح من فمها رائحة الخمر .

وبحثت في شنطتها ، فوجدت بها أنبوبة بها أقراص دواء يستخدم لمنع الحمل ، وأوراق صغيرة بها نمر تليفونات . وسألنا أنا وصديقي عن أصحاب هذه التليفونات ، فوجدت أنها لعوامات ، وبيوت سرية ..

تلك هي الحالة التي وجدت عليها زوجتي التي سافرت بعيداً عني لكي تهدئ أعصابها ، وترجع إلي أولادها ، لتربيهم تربية حسنة !! . لقد ذهلت إزاء هذه الحالة ، وتحيرت في أمري ، وتصورت إذ ذاك عظم الفضيحة ، والعار ، والخزي ، الذي جرّته هذه الساقطة على طفليها ، وسيبقي على رءوسهم مدي حياتهم . لا شك أنني إذا طلقتها فستجد أمامها المجال متسعاً ، ويصبح الأمر معلوما للجميع ، وستكون العاقبة وخيمة على أطفالي في مستقبلهم .

مـاذا يضـرني لـو أنـا أرجعهـا إلـي بيـتها وأولادها ، وسينسي الناس كل ما حصـل بمـرور الـزمن ، لا شـئ يكلفـني أكـثر من أن أطأ كرامتي بقدمي ، واحتمل نتـيجة ما جنت يداي صاغرا ذليلاً ، الست أنا الذي لم أحسن اختيار التي ستكون أما لأولادي .. يجب إذن أن أتعذب لكي يكونوا هم سعداء .

وفاتحـتها في أمـر السـفر إلـي الإسـكندرية في الـيوم الثاني (السبت) فرفضت بدعوى أنها ستعود إلي تعبي وتعب نفسها ، ويجب أن أذوق مرارة بُعدها عني مدة كافـية حـتى إذا مـا عـادت الّي أكون قد فهمت كيف يجب أن أتركها تعيش على هواها بدون سيطرة من أي نوع كانت .

أحمـــد الله أنـــني لم أقـــابل رفضـــها هـــذا بـــأي تهـــيج أو ثـــورة غضب كان ردي الوحيد هو الطلاق .

فقالت : موافقة

قلـت : والأولاد ليس لك الحق في طلبهم .

قالـت : وماذا أعمل بهم ؟

فقلـت : ومقابل الطلاق تبريني من كل حقوقك

فقالت : لا أريد منك شيئاً .

إذن اتفقـنا عـلى مـا كنـت أتلافـاه من زمن ولكن هذه مشيئة الله ! ! وتوجه صديقي وزوج خالتها لإحضار المأذون . وفى أثناء غيابهم ، حدث حادث لم يكن في الحســــــــبان ! !

دق الباب ففتحته ، فسلمني (البوسطجي) خطاباً باسم زوجتي ، مرسل إليها من الإسكندرية . فتحت الخطاب رغم إرادتها ، ولشد ما كانت دهشتي عند ذلك ، إذ وجدت فيه ورقة مالية ، وعرفت أن الخطاب مرسل من عشيقها الشاب عبد اللاه ، ويبثها غرامه ، وينصحها بالعودة إلي زوجها بعد أن كتبت إليه تعبر له عن حيرتها في أمرها وعن حاجتها إلي نقود .

مواقف تقل عنها مواقف الروايات الخالية . المأذون في الطريق ، ويصل إليها خطاب على غير ما كانت تنتظر . لا شك أنها كانت تأمل أن عشيقها هذا ، سيسر إذا علم أنها تركتني ، وسيسعي في طلاقها مني ليتزوجها هو ، لابد أن ذلك هو السر في كل شقائنا وتعاستنا . والآن قد فقدت أملها وعرفت أنه أغراها وعبث بها . ولكن لتعاستها لم تعرف ذلك إلا في الوقت الذي فقدت فيه أملها في الرجوع إلي بيتها أيضا . إذن هي فقدت كل شئ .

إن أكبر عيوبي هو تغلب عواطفي على عقلي ، ولهذا السبب وحده مددت لها يد المساعدة في هذا الظرف ، فقرأت لها الخطاب بصوت مرتفع ، وسمعته خالتها معها وبعد قليل وبمجهود نفسي كبير قلت لها : والآن ما دام يريد أنك ترجعي إلي زوجك ، فأني مستعد أن أقبل رجوعك اليّ ونسافر في الحال ..

انتظرت جوابها بعد أن رأت أنني لم أقابل هذا الموقف بثورة ، أو غضب ، ولقد كان من المحتمل جداً أن أكون متوحشاً لدرجة بعيدة يعلم الله مداها . انتظرت جوابها بعد أن قدمت لها تلك النصيحة

الكبيرة ، ولعلها ما كانت تحلم بها . انتظرت جوابها ، ولشد ما كانت دهشتي أن قالت : (لا أريد المعيشة معك) !! .

في هذا الوقت كان من المكن أن أقدم هذا الجواب إلي النيابة ، وأن أقاضي هذا الشاب الفاسق ، وأن أقتص منهما بأي شكل كان ، ولكنني فضلت الخلاص منها هي .. بهذه الطريقة بدون جلبة أو فضيحة ، عملاً بالقول القائل : (وإذا بليتم فاستتروا) . وأي بلوي أكبر من هذه .. ولكنها والحمد لله قد انتهت بخير .

حضر المأذون ومعه زوج خالتها ، وصديق حلمي ، فأطلعتهما على الجواب . وقام المأذون بعملية البتر التي لامناص منها ، ورأيت أن اكتب ورقة بتنازلها عن الأولاد ، فكتبها صديقي ، ووقعت هي عليها بدون تردد . وشهد عليها صديقي وزوج خالتها ، وخالتها . وقرأها المأذون عليها ، وقال : (إن هذه الورقة لا قيمة لها) ولم يقبل أن يوقع عليها مع الحاضرين .

لم أفهم كنه هذه المخلوقة التعسة ؟! أهي حية رقطاء تستحق أن تسحق رأسها بالنعال ، أم هي بلهاء تتقاذفها تيارات الحياة وهي لا تفقه شيئاً . هممت بالانصراف ، فإذا بها بكل برود تطلب مني نقوداً ، فتعجبت وأخرجت النقود التي أرسلها عشيقها في خطابه !!

***

رجعت إلي الإسكندرية ، واحتملت الصدمة كيفما تكون ، فلا بد من الصبر والخضوع للقدر . ولقد كبحت جماح نفسي ، وكنت ألاقي في سبيل ذلك أشد الصعاب . وكان يخفف عني كثيرا أن أولادي معي يتمتعون حولي بكل سعادة وصحة .. ومن أجلهم لم أندفع وراء نزعات نفسي ، وفي الواقع هم بقية أملي في الحياة !!

ومرت الأيام ، ولم تتخذ أي أجراء نحو حضانتهم ، بل كانت مشغولة عنهم بما هي فيه من نعيم الحياة وبهرجتها . وقطعت طريق كل صلة بيني وبينها ، فلم أرد على خطاباتها ، ولا على خطابات كل من يكتب إليّ بخصوصها . وأعلمت أولادي أنها ماتت ، ولن تعود إليهم . ولشد ما تعجبت عندما رأيتهم قد فرحوا ..

وقــــالا : (أيوه دي كانت كل يوم تضربنا) .

قلت لهم : (علشان إيه)

فقــــالا : (علشان ما نقولش لك إنها بتخرج كل يوم) !!

وحمــــدت الله ســـبحانه وتعـــالي أن أولادي لا يحـــبونها ، ويفـــرحون لبعدها ، ولولا ذلك ، لكنت أشعر بشقاء عظيم ، عندما يبكون على أمهم ولا يجدونها ، ولا أمل هناك في رجوعها إليهم . إن الله هو المبتلي ، وهو المدبر ، وهو على كل شئ قدير .

بعد أن خاب رجائي الأخير فيها ، صممت على الزواج ، ووفقت والحمد لله إلي غايتي ، ووجدت زوجة تفرح بزوج مثلي لأنها من عائلة متوسطة ، وتتمني مرضاتي بخدمة أولادي ، والسهر على راحتهم ، وهي في الواقع خير لهم من الأم

الحقيقية . وهكذا بدأت حياتي الجديدة ، ولعل الله يعوضني خيراً مما فات إنه سميع مجيب . ولقد سررت وشعرت براحة عظيمة عندما وجدت أولادي قد فرحوا بأمهم هذه فوق ما كنت انتظر ، وفرحت هي بهم كثيراً ، وعاشت معهم كأنهم أولادها فعلاً .. ولقد بلغت بهم الفرحة الدرجة إلي حد أنهم أصبحوا يميلون إليها ، كسائر أفراد عائلتي كجدتهم وعماتهم .

هكذا سارت أموري سيرا حسنا ، فأولادي في راحة بين والدتهم الجديدة ، وبين جدتهم وعمتهم ، وعلاوة على ذلك فلهم مربية خاصة بأمور نزهتهم ورياضتهم ، وولدي ألحقته بإحدى المدارس الأولية قضى فيها سنة ونجح في الامتحان ، وانتقل إلي السنة التي يليها ، وضميري مرتاح ، وقد انقطعت عني أخبار تلك التي فوضت أمري إلي فيها إلي الله ، وهو أعدل الحاكمين .

بعد مضي عدة أشهر على زواجي ، علمت به تلك المرأة ، وغضبت كثيراً لهذا الخبر ، لدرجة أن زوج أختها الراقصة (سابقاً) وصفها لي في أحد خطاباته ، بأنها كانت كالبركان الثائر ، ولست أدري ما هو الباعث لها على ذلك ، أليست هي السبب ، أو هل كانت تظن أنني سأعيش بعدها عازباً ، أبكي وأنوح على أيام العذاب السالفة التي قضيتها معها . عجبت لذلك الخطاب الذي بعث إليّ به زوج أختها ، وفيه تهددني بضم أولادها إليها بطريق القضاء إن لم أسمح لها برؤيتهم .

طبيعي أنني لا أهتم لهذا التهديد الأجوف ، لثقتي أن القضاء لن يقصر في تقدير هذه الظروف ، ولن يسمح بوضع الأطفال في يد من وصلت بها درجة عدم

الإحساس والشعور إلى جعل أولادها وسيلة لانتقامها مني جزاء لي على خيانة عهودها بالزواج .

لقد تركت هؤلاء الأولاد أولاً وكتبت صكا ببيعهم . وثانياً بحرمانها منهم وانفصالها عنهم ، ومضي على ذلك سنة وسبعة أشهر دون أن يتجه فكرها نحوهم ، أو تدفعها عاطفة إليهم ، وكأنها تخلصت من حمل ثقيل ، وحمدت ربها لوجود من يحمله عنها دون أن تكون مسئولة عن شئ أكثر من أن تجري وراء بهرج الدنيا ونعيمها الزائل حرة بدون قيود . فبأي حق تعود الآن لتبين للقضاء أنه كان لها أولاد ، وأنها تركتهم عاماً ونصف ، وفضلت أن تعيش كما شاءت ، والآن .. مادام أبوهم قد تزوج ، وخان عهودها ، فلابد لها من أخذهم كأنهم زوج من الفراخ تتصرف فيهم كيفما تشاء .

لا مانع أن يزين لها المحامي طريق السير في القضية ، ويمنيها بالنجاح ، بل ويهنئها مقدماً . ويفتتح الدعوى باختلاق ظروف غير حقيقية ، كقوله أنني اختطفت الأولاد منها ، وكقوله أنهما دون الرابعة من العمر . لو أنني تشرفت بمهنة المحاماة ، وكنت مكان حضرة المحامي الآن ، لرفضت السير في هذه القضية بعد أن تبينت الحقائق . إذ كيف اسعي بمهارتي إلي دفع صغار إلي يدي أم ليست أكثر شفقة عليهم من وحش كاسر .

لا ينكر أن في ترك أولادها لها لتربيهم قضاء مبرم علي أخلاقهم ، إذ أن تأثير أوساط الطفولة تنطبع في ذهن الطفل ، ويكون لها تأثير كبير على حياته في المستقبل . وأن أقوي دليل على ذلك ، ما فيه أمهم وأختها الآن من الفساد .

وإذا كنت لا أستطيع موافقتها على رؤيتهم مخافة أن تعكر عليهم ما هم فيه من الصفاء والراحة ، فكيف أستطيع تركهم كاية بين يديها وهي التي تستلزم حياتها ألا تبقي في بيتها لحظة . فهي تقضي يومها بين سهر ولهو ونوم . فأين ستجد الوقت لتعتني بشئون الأولاد .

إنها تعيش مع أختها الراقصة في منزل واحد ، ولا يجهل إنسان ما يكون عليه بيت الراقصة ، فهو ملتقى الراقصات و الصاحبات ، والراقصون الأصحاب والعشاق . فأي إنسان مهما كان غبياً ، يقبل أن يلقي بأولادها في هذا الجحيم . لعلها كانت مطمئنة طول المدة السالفة ، لعلمها أن أولادها في أمان . ولعلها الآن تري تضحية هؤلاء الأولاد على مذبح غيرتها العمياء ، وظنت أن القضاء طوع إشارتها ما دامت هناك حدود لسن الحضانة ، ولكنها لا تدرك أن وظيفة القاضي هي دراسة ظروف القضية وله أن يخرج عن نصوص القانون .

يهمني قبل أي شئ مصلحة أولادي ، أما هي فلا يهمها إلا الانتقام مني وتكدر صفوي . ولهذا تعمد إلي التمويه والاختلاق على القضاء لزعمها أن ذلك يوصلها إلي غايتها ، خصوصاً وقد سبق ذلك ظروف يجب ذكره لتعرف مبعث الحقد .

بعد علمها أنني قد تزوجت ، وأن أحوالي تحسنت على غير ما كانت تظن ، لما كانت ظروف معيشتها قد أخذت في التدهور والانحدار (وطالما ذكرت لها ذلك) . وأختها لم تجد عملاً في صالات الرقص مدة طويلة ، والأزمة الحالية سدّت كثيراً من أبواب الرزق في وجهها .

هي وأختها ، لذلك اتصلت بأحد أصدقائي بالقاهرة ، ويظهر أنها أثرت فيه كثيراً ، لدرجة أنها جعلته يكتب إليّ في موضوع رؤيتها للأولاد .

وقد أدهشه ذلك منها ، فاستدرجها حتى عرف منها أنها ستبذل كل جهدها في الرجوع إليّ ، خصوصاً وأن حالتها المالية صارت سيئة لدرجة أن حجرة النوم الراقية ، أصبحت محجوزة لوفاء إيجار المنزل ، وأن عشيقها الشاب في الإسكندرية ، قد قطع عنها إعانته المالية ، وأطلعته على خطاب منه بهذا المعنى .

وهنا نصحني صديقي هذا بالا أقابلها بنفسي مطلقاً خوفاً منها أن تؤثر فيّ ، وتجعلني أتقهقر أمام استرحامها . واقترح أن يأخذ الأولاد ليريهم لها ، ولكني رفضت كل شئ ، لثقتي أنها تتخذ هذه الوسائل للوصول إلي غايتها ، وهي الرجوع إليّ ، وهذا أصبح رابع المستحيلات . ولقد أرسلت إليّ خطاباً كله عواطف ، واسترحام ، وغير ذلك ، مما أصبحت تجيده بمهارة ، وطلبت مقابلتي لرؤية الأولاد ، ولكني لم أعره أي اهتمام .

والآن تعود هذه المرأة إلي تكدير صفوي ، بعد أن جعلت معيشتي السالفة أكدر ما يكون ، وهي تتخذ من القضاء وسيلة إلي ذلك .ولكن لي من حكمة القضاء ما يساعدني على إبعاد هذه المرأة عن طريقي لتسير في الطريق التي اختارتها لنفسها ، وأن يترك لي هؤلاء الأطفال التعساء حتى أربيهم تربية تليق بي ، وبمركزي في جو بعيد عن تأثيرها .

إني أخش أن عرفوا أن هذه والدتهم ومستقبل أيامهم أن يشعروا بالذلة ، وأن يسـقطوا أمـام أعـين الـناس . لقـد وضـعت تلـك الفاجـرة رءوسـهم في مواطـن الأقـدام ، وألبسـتهم ثوبـا مـن العـار والخـزي ، ممـا يجعلهم لا يجرءون على رفع رؤوسـهم أمـام الـناس . ثـم هـي لا تفهـم فظاعـة عمـلها ، وتعـود إلي طلب ضمهم إلـيها ، حـتى تلصـق بهـم أقذارهـا ، وتنفـث فـيهم مـا تشـربته مـن سمـوم حياتها ، وسموم تربيتها السابقة على يد زوج أمها طريد السجون .

ليـت القضاء النزيه يتكلف بتنبيهها نحو واجبها إزاء أولادها ، وهو الابتعاد عـنهم كلـية ، حـتى لا يلتصق بهم عار اتصالها بهم ، ولعلها تتقي الله في أخلاقها إكـراما لهـم ، وتبحث عن وسيلة للعيش الشريف ، وهي لن تعدم قلوبا رحيمة تمد لها يد المساعدة الشريفة ، وأن الله تواب رحيم .

يؤلـني أن أتغلـب عـلى امـرأة أمـام القضـاء ، ويؤلـني أن أفـرق بـين أم وولديهـا ، ولكـن في مـثل هـذه الظـروف ، أري مـن واجـبي ذلك ، كما أنه من واجـب أمهم ألا تحاول التعرض لهم بعد ذلك ، وتلفيهما ما صبته على رؤوسهم من العـار . وإني أتضرع إلي خالقهم من الآن ألا يدفعهم عارهم إلي التخلص من الحياة عندما يشعرون بذلك ، أو تدفعهم بعض الظروف القاسية إليه .

وإني قبل ختام ذلك ، لا أنسي أن أذكر أن سن ولدي قد بلغ السابعة ، وفي ذلـك مـا يجـيز عدم ضمه إليها شرعنا . وسن ابنتي جاوز الخامسة ، وهذه أحرص علـيها أكـثر مـن أخيها ، لأن البنات أولي بالمحافظة عليهن من الأولاد ، فالخطر عليهن في هذه الحالة أقوي وأشد ! !

ولعلـــي أذكـــر أن أهلـــي كـــثيرون يســـتطيعون حضـــانة أولادي . وقـد اضـطروا أمـام طلـبها هـذا إلـي المطالـبة بحقهـم في حضـانة أولادي ومن هؤلاء والدتي ، وأختي ، ولكل منهما من الظروف ما يمكنهما من حضانة أولادي شرعاً .

ولكـن رغـم كـل ذلـك أتقـدم إلـي القضـاء العـادل ، طالـباً بقـاء أولادي في حوزتي ، ففي ذلك صالحهم ، ومنفعتهم الحقيقية .

وإنـا جمـيعاً نطلـب الهدايـة مـن الله إلـي مـا فـيه الخـير لهمـا .!!

التوقيع

أب مذبـــوح

•• وقـد أذنـت حضـرة وكـيلي الأسـتاذين ، أن يقدمـا هـذه المذكـرة إلـي المحكمـة ، يطعـنا فيها على سير مطلقتي ، وأنها غير مستقيمة ، ولا تصلح لتربية أولادي نظـرا لسـوء سـلوكها ، وعـدم قدرتهـا عـلى تربية الأولاد وصيانتهم ، وعدم إمكانهـا ملازمة منزلها لتغيبها بدور الملاهي والرقص مع أختها الراقصة ، بمضمون ما هو مدون بهذه المذكرة . . تحت مسئوليتي .

••• ••• •••

وبعـد التحقـيق ، والإطـلاع عـلى الوثـائق ، والمسـتندات ، وسمـاع الشـهود .. أصـدرت المحكمـة حكمهـا ، بضـم الأولاد إلـي أبـيهم حرصـاً عـلى مستقبلهم ، وحمايتهم من الفتنة .

أحــلام ســــــردينة

أيام عصيبة مرت بصاحبنا وزوجته عند إعداد شقة جديدة .. استغرقت شهراً طويـلاً .. كأنـه عام .. ومصاعب من ألاعيب العمال ، الذين لا يقومون بعملهم فمن بـياض ، وتشـطيب ، ونجـارة ، وسـباكة ، وكهـرباء وغيرهـا . ولم تجـد الـزوجة إلا (سـردينة) الذي يعمل في نفس المؤسسة . وقد سموه سردينة ، لأنه أكل السردين في عـيد شـم النسـيم ، وتسـمم ، وأصـيب بـالحمى ، ونقلوه إلي المستشفى في الرمق الأخـير .. وتم إسـعافه .. ونجـا مـن المـوت . وعطفـت علـيه الـزوجة ، وسـاعدته بالأموال .. ليكفي حاجته وحاجة زوجته وأولاده .

وحاول أن يخدمها بكل ما لديه من طاقة .. وطلب منها أن يساعدها وزوجها في الأشراف على العمال لكي يتم إنجازها على ما يرام . وكانت الزوجة تعزمه على الغذاء مع زوجها .. لكي يواصل الأشراف على العمال ، وإنجاز المتطلبات ، واللوازم . إلي إن تم إنجاز كل شئ .. نظير مبلغ معين .. أخذه هؤلاء العمال .. أقاربه في البلدة .

ولكن الزوج فوجئ بسردينة .. يحضر إلي الشقة في يوم أجازته ، ولم يكن موجودا هو وزوجته .. وعندما عادا وجدا سردينة واقفا أمام العمارة في انتظارهما .

واستغرب الزوج .. من هذا السلوك .. كيف يحضر إلي البيت وقد انتهي كل شئ .. وأخذه إلي الشقة .. ليعرف منه سبب مجيئه .

— ما الذي أحضرك يا سردينة في هذا الوقت .. وأنت في أجازه من عملك ؟

— قلت ربما هناك بعض الأشياء لم تتم

— أليس هذا اليوم .. هو يوم أجازتك ..

— نعم

— وقد تسبب مجيئك للأشراف على العمال .. نزاعاً بينك وبين زوجتك الحامل كثير من المشاكل .. فلماذا لا تكون مع زوجتك وأولادك ..

— إن أفضال المدام علّى كثيرة .. وقد جئت لأخدمها ..

— لقد خدمت كثيراً يا سردينة .. كنت تحمل أشولة الرمل .. وتمسح أرض الشقة من الزبالة .. التي يخلفها العمال

— أنا تحت خدمتكم يا ريس ..

— ولكن هذا لا يصح .. ولا تحضر إلي الشقة إلا عندما أطلب منك ذلك

واعترضت الزوجة على رد زوجها الجاف لسردينة ..

— أنا لم أفعل شيئا يا ريس ..

— قلت لك لا تحضر هنا بعد ذلك إلا عندما أكون موجودا وأطلب منك شيئا

وارتبك سردينة من هذه المفاجأة التي لم يكن يتوقعها من الزوج .. خاصة أنه كان خادماً لزوجته التي أثار مرضه عطفها عليه . وكان يحضر إليها سندوتشات الإفطار وهم في العمل .. ويتناول الإفطار معها وسط الموظفين الموجودين في الصالة . وقد أثار هذا التصرف .. اللمز والغمز بينهم .. إذ كيف تصل الزوجة الموظفة الكبيرة إلي هذه الحالة .. من كسر الحواجز الاجتماعية بينها وبينه .. خاصة بعد أن كان خادما لها في رحلة العمرة إلي بيت الله .. وكان كظلها في كل خطوة .. حتى أنها كانت تقول للمعتمرات الموجودات معها في الحجرة وهى تكذب إنه أخوها .. حتى لا تثير الأقاويل .

وبعد عودتهما من العمرة ، دق جرس التليفون في بيت الزوج والزوجة القديم .. ورفع الزوج السماعة الأخرى للتليفون ، وسمع زوجته وهي ترد

— من يتكلم ؟

— أنا فاطمة زوجة الخادم الذي كان معك في العمرة

— ماذا تريدين .. ؟

— إنك سوف تتسببين في خراب بيتي .. حرام عليك يا مدام ..

— وما شأني بذلك ؟

— إنه بعد أن عاد .. لم يصبح كما كان .. يهملني أنا المريضة الحامل ويهمل أولاده .. تعود عليك .. يريد دائما أن تكوني أمامه

— وما شأني بذلك .. ؟

— إنه لا يتحدث إلا عنك .. في كل صغيرة وكبيرة .. ولا يحضر إلي البيت إلا متأخرا .. بحجة أنه مع أقاربه العمال الذين يعدون لك .. شقة الزواج

— زواج .. أنت تعرفين زوجي .. أنت مجنونة ـ سوف أخبر زوجي بذلك .. وسوف أخبر سردينة

— إنه هو الذي قال ذلك لأخيه عندما حضر إلي بيتنا ليصلح الخلافات بيني وبينه .. وسمعتهما .. وهما يتحدثان في الغرفة المجاورة .. وكان يقول لأخيه إنه يحبك .. وسوف يتزوجك .. بعد أن يتم طلاقك من زوجك .. وكان يقول لأخيه .. إنه يقوم بإنجاز كل أعمال الشقة لأنها ستكون شقته بعد زواجه منك لأنك لا تستطيعين الاستغناء عنه .. وزوجك مشغول دائما بالعمل ....

— لا شك أنك مجنونة يا فاطمة ..

— أنا استنجد بربنا منك .. ماذا تريدين .. تخربين بيتي وأنت معك زوج عظيم .. وأولاد ..

— أنا سأقول كل ذلك لزوجي .. وزوجك .. إنه يخدمني في الأعمال

— يعني خادمك .. إني سمعته وهو يقول لأخيه ـ الذي هددني .. بأنه سوف يزوجه .. ويطردني وأولادي من البيت — أنه يحبك ويريد أن يتزوجك .. حرام عليك .. ربنا سينتقم منك .. الله يخرب بيتك .. فوضت أمري إلي الله

— أنت مجنونة يا فاطمة ..

وتبكي فاطمة .. وتغلق الزوجة التليفون ويغلق الزوج سماعة التليفون الأخرى .. وكانت الصدفة هي التي جعلته يستمع إلي هذا الحوار العجيب . وجاء إلي زوجته قائلاً :

ـ ما هذا الكلام الفارغ ؟

ـ لقد سمعت بنفسك كل شئ .. امرأة مجنونة

ـ مجنونة .. لأنك سوف تخربين بيتها وتشردين أولادها ..

ـ أنت المجنونة .. ألم أحذرك مرة من عطفك الزائد سوف يجر عليك المشاكل ...

ـ هل تشك ؟

ـ أشك .. أو لا أشك .. ولكن الرسول ﷺ : قال ادرءوا الشُبهات .. وهناك أيضا قصة الإفك .. والسيدة عائشة كانت لنا مثلاً ..

ـ أنت تعرف أن أخي يقاطعني لأنه سرق أموال أختي .. وأختي لا فائدة منها .. وأمي وأبي عند الله .. فهو لي كل شئ ينجز أعمالي ..

ـ بسيطة .. تزوجيه .. وتنتهي المشكلة

ـ أنت تشك في مرة أخرى .. طلقني .. أنا لا أريد أن أعيش معك ..

ـ لا مانع عندي .. طالما أن الكبْر تملكك .. ولعب بك الشيطان .. ولا يهمك زوجك .. ولا أولادك .. من أجل سردينة نتنه .. ومعفنة .. وسموه بذلك لأنه نتن وعفن ..

ـ خذهم ..

ـ فقط .. والأموال التي صرفتها عليك ..

ـ خذ كل شئ .. مائة ألف جنيه ..

ـ يا سلام .. بهذه البساطة ، أولاً .. تكتبين تنازل عن حضانة أولادك .. وعدم رؤيتهم .. وكل ما تملكين .. وتذهبين إلي العريس النتن .. الخادم لك .. عارية كما ولدتك أمك .. وعندئذ سوف تزول أحلام سردينة التي يحلم فيها

بك .. وبشقة النعيم التي كان ينجزها مع أقاربه العمال .. ويطرد زوجته الفلاحة الكئيبة وأولادها

– اسكت .. اسكت .. أنت مجرم

– أنا .. يا حضرة الموظفة العظيمة ، أنا لن أقتلك كما فعل ذلك الرجل الذي نشرت قصته الصحف .. فقتل زوجته وأولاده .. وصاحبه العشيق .. عبيط .. إن المرأة دائما من حبائل الشيطان .. وقد أخرجتنا أمنا حواء من الجنة . ولكنني سأتركك .. لتقتلي نفسك بنفسك ..

وكان أولادهما الصغار يستمعون إلي هذا الحوار .. والصراخ .. وصاح الابن الصغير .. (أنت وحشة يا ماما) .. تريدين أن تتزوجي سردينة .. وصاحت الطفلة الصغيرة الجميلة .. أنا أحب بابا .. (أنت وحشة يا ماما ..)

– وصاحت الزوجة وهي تبكي

– هل يعجبك هذا من الأولاد ؟

– ألم تقولي إنك تتخلين عنهم .. وعن كل شئ

– أنا لا أريد أن أعيش معك

– كل شئ بأمره .. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .. كل شئ بإذنه .. لقد لممتُ حياتك المبعثرة بعد طلاقك من زوجك الأول .. وجعلتك زوجة رجل عظيم .. ولكن الشيطان لعب بك . وأنا معركتي دائما مع الشيطان .. لم يستطع أن يتغلب علّي في السنوات الأخيرة ..

– هل تشك فيّ ؟

– أنا أدق ناقوس الخطر .. وعندما أشك فيك .. ستكون نهايتك أسرع مما لا تتخيلين .. وأما أحلام سردينة النتن .. خادمك المحبوب .. فلا شأن لي

بهـا .. ولكـن عطفـك علـيه .. جعلـه يطمـع فـيك .. ويحـلم بـك .. ويلعـب الشـيطان بعقلـه .. وهـو أهـبل .. لا رجولـة له .. يمسـح الأرض .. ويحمـل الـرمل .. مـن أجـل حـلمه وكـل شـئ له ثمـن .. وقـد تقاضـي أجـره مـن عمولـة العمال الذين أحضرهم .. إنه مقاول أنفار ..

* * *　　　* * *　　　* * *

مـرت كـل هـذه الخواطـر ، والأحـداث في ذهـن الـزوج ، وقـد احتضـن طفلـيه ، بيـنما كانـت الـزوجة تـرتدي ملابـس الخـروج .. ، واقتربـت مـن بـاب الخروج .. قائلة :

ـ لن أعيش معك ..

ــ وقـال (سـاخراً) : لا تنسـي .. سـلامي إلـي خـادمك سـردينة الـنتن .

وبعد فترة .. سمع صوت فرملة شديدة من سيارة في الشارع ، وصراخ ، وأصوات .. فخرج هو وولديه إلي الشرفة ، ليري ماذا حدث ؟

وكانـت مفاجـأة .. لقـد وجـد زوجـته ملقـاة في الشـارع ، أمام سيارة والدماء تنزف منها .. والتف حولها المارة ...

إلي أين يا نرجس ؟!!

وصلت (نرجس) إلي مكتبها متأخرة ، وسط دهشة زملائها الذين لم يعتادوا على تأخرها أبدا . كان وجهها شاحباً ، وكادت تسقط من الإعياء وهي تحاول الجلوس على كرسي مكتبها ، وهرع إليها زميلها (مشتاق) الذي كاد يصاب بالجنون لتأخرها هذا ، وهل حدث لها مكروه من زوجها ، بسبب المعارك الدائرة بينهما ، واقترب منها :

— خير إن شاء الله .. هل حدث شئ في البيت ؟

قالت ، والكلمات تخرج من فمها تحتضر عند شفاهها

— انتهت المشاكل ..

— أخيرا اقتنع بأن أزوركما في البيت .. وأنك لا يمكن أن تستغني عن خدماتي في كل شئ

— بعد انتهاء شهر رمضان .. سوف يطلقني

— أخيراً .. إنه مجنون .. رجل عجوز مخرف .. ولكن يجب تأديبه

اطرديه من الشقة لأنها باسمك ..

— بالعكس .. إنه هو الذي سوف يطردني .. وأعيش في الشقة القديمة ..

— كيف ؟ .. مستحيل .. لقد تعبنا في إعداد هذه الشقة الجديدة .. إنها حلمنا الجميل من زمن بعيد .. لن تخرجي من الشقة .. هو الذي سيخرج .. إذا كان يريد أن يعيش .. وإلا

— وإلا ماذا ؟

— وإلا .. سأجعله يخرج على نقالة .. ولا عودة للحياة لقد جاءك الفرج من الله ..كيف تحملت العيش معه طوال تلك السنين .. كيف .. رجل عجوز مخرف .. كيف كنت تعيشين معه .. كان يستعبدك .. ويسخرك من أجل الولد والبنت الصغيرين

— ليس هذا فقط .. بل يريد أن أتنازل عن كل ما امتلكه من شهادات استثمار ، والذهب أيضا ..

— قلت لك إنه مجنون .. ولا تعامل مع المجنون .. إلا قتله .. وتنتهي المشكلة . وأنا دائما خادمك يا نرجس ..

ـــ قررت أن أترك له الشقة الجديدة .. والأولاد .. والأموال .. لأعيش حياتي .. حرة .. لا معارك .. ولا منغصات .. ولا أولاد

ـــ نعم !! تتركين له كل شئ .. وتصبحين على الحديدة .. يتمتع بكل شئ .. ويتزوج امرأة أخرى

ـــ لا يهمني أي شئ إلا حريتي .. وحياتي الجديدة ..

ـــ إنه بذلك يدمر حياتك .. أنت عبيطة !! والا مجنونة !! إنه رجل عجوز بينه وبين القبر شبر ، وأنت نرجس الحلوة .. الجميلة .. والجميع يتمنون أن يكونوا تحت قدميك .. وأنا أولهم ..

ـــ بعد رمضان .. سأكون حرة .. ولا يهمني الأموال .. والأولاد إن مرتبي كبير .. وسوف أعيش منه سعيدة ..

ـــ أنا أوافقك .. على ما تفعلين .. كيف تسرعت ووافقت على طلباته .. لقد تحملتُ إهانته لي .. وطردني من الشقة أمامك .. بعد أن أتممنا كل التجديدات فيها .. تحملت كل ذلك من أجَلك .. واتفقنا على أن ننغص عليه حياته . حتى يتم الطلاق

ـــ إنه لا يريد أن يطلق .. حتى لا يغضب ربنا في رمضان .. ولن يتخلي عن أولاده .. إلا وهو جثة هامدة .. بعد أن يقضي عليّ وعلى من يقف معي ..

ـــ قلت لك إنه مجنون .. ولا نتعامل معه إلا بالجنون أيضا نضع له السم في الطعام .. نستأجر أحد البلطجية ويقتله وكأنه قضاء وقدر

ـــ إنه ليس سهلاً .. كما تتوهم .. إن له نفوذ كبير في كل مكان ويستطيع أن يثأر لكرامته بنفسه بعنف .. إن حياته لا تهمه .. لقد كان فدائياً يحارب الإنجليز .. أيام زمان .. وحياته رخيصة أمام المبدأ ..

ــــ أي مـبدأ ؟! هـذا تخـريف .. إنــه يخوفـك فقـط .. ولا يهمـك .. أنا معك .. سوف أتزوجك

ــ وزوجتك .. وأولادك ..

ــ لا يهم .. سأطلقها .. لأكون خادمك .. وأحقق لك كل السعادة

ــ سأتركه لله .. ينقذني منه ..

ــــ تتركيــنه لله !! كـيف ؟ .. إن صـحته عـال العـال .. ولـن يمـوت الآن .. وسيقضي على حلمنا .. فكري في نفسك يا نرجس ..

ــ سأفكر ..

ــــ هـيا .. هـيا .. نتـناول الإفطـار .. سأحضـر "سندوتشـات" الإفطـار كالعـادة .. ونفكـر بهـدوء .. كـيف نـتخلص مـنه ؟!! أمـا أن تتركـي له الشـقة وكل شئ .. فهذا جنون .. لا تكوني عبيطة .. اعتمدي عليّ

وتاهـت نرجس في دوامة كلمات مشتاق لقد سقط أمامها .. وانكشفت أحلامه أمامهـا ، كمـا قـال لهـا زوجهـا ، إن مشتاق قال كل كلمة تخيلها زوجها . عندما قـال لهـا .. اخـبريه بـأنني سـوف أطلقـك بعـد رمضـان .. قـال لها .. سيقول لك كـذا .. وكـذا .. وكـذا .. وفعـلاً قال مشتاق كل كلمة مما قال لها زوجها لها . كـيف عـرف كـل هـذا ؟!! وكـل مـا سـيحدث .. يـا خسـارة !! لقـد سقط القناع عـن مشـتاق وظهـرت نوايـاه الخفـية . إذن لم يكـن يسـاعدني لوجـه الله .. كم أنا عبـيطة .. وساذجة .. آه .. كم كنت مغفلة .. وواهمة ..لقد استغل ضعفي .. عندما كنت أحكي له كل شئ .. عن مشاكلي مع زوجي .. الذي تبين أنه يحبني فعلاً .. ولـيس كلامـاً .. وكـان حريصا على سمعتي .. وألا أقع في المحظور لطيبتي وعطفي

على الآخرين .. يا رب .. أنقذني من نفسي !! هل كنت مجنونة . لأخسر كل النعيم الذي وهبته لي يا رب تقبل ندمي .. وتوبتي .. لقد وهبت نفسي لهذا الزوج الذي ضحي بالكثير من أجلي .. وأعيش محترمة بين الناس ، ورزقني منه الله بالولد والبنت .. وبالسعادة التي كادت أن تفلت مني .. بسبب غبائي ، وطيبتي مع الآخرين .. كم كنت مغفلة .. وساذجة

وقطـــع تأملاتهـــا ، صـــوت مشـــتاق

ــ هيا يا نرجس .. لقد أحضرت الإفطار .. هيا ..

ونظرت إليه بنظرات كلها غضب واشمئزاز

ــ ليس لي رغبة

وقامت ، وللمت الأشياء من فوق المكتب .. وأخذت حقيبتها ، وهمت بالخروج من المكتب .. وهي تدوس كلمات مشتاق بنظراتها الغاضبة .. وأسئلته لها .. إلي أين ؟ إلي أين ؟ الإفطار جاهز .. يا نرجس .. إلي أين ؟؟ ..

وأنت طالقة الحـــرية !!

اقـترب مـــن بـــاب مكتـــبه في العمـــل ، فـــنهض الفـــراش الجـــالس أمامه ، وحياه ، وأخذ منه حقيبته الصغيرة ، وفتح له باب المكتب . ودخل سامي إلي المكتب يجرجر ساقيه ، واقترب من كرسي المكتب ، وسقط فوقه . ولم يستمع إلي كلمة (صباح الخير يابيه) الذي رددها الفراش مرة أخري ، وبصعوبة تسربت الكلمات من فمه ، في صوت خفيض (صباح الخير يا عم محمد احضر القهوة ولا تجعل أحداً يدخل الآن ..) بركان ثائر يتفجر داخل صدره ، والدماء تغلي في

شـرايين مخـه .. توشـك أن تفجـره . وأغمـض عينيه لحظات ، ورجع بظهره إلي الخلف ، يسنده من السقوط . وصور أحداث الأمس تتلاحق وغادة في مخيلته ، ماذا حـدث .. وكيف تغادر المبني دون أن تحدثه في التليفون كالعادة ، ولماذا اختفت .. هل حدث شئ لأمها ، أو لأبيها .. إذا كان قد حدث شئ ، فلابد أن تستنجد به . إذن أيـن ذهبـت ؟ .. إن أحاسيسـه تقبض عضـلات قلـبه ، وتشـعره بأنها قامت بشـيء تخفـيه . لـماذا تخفـي عـنه ذلك الشيء ، وهي التي سلمت له كل نبضة من قلـبها ، وكـل أحاسيسـها ، وباحت له بأعمق أعماق أسرارها الماضية . يا الهي .. هـل عـادت إلي الانسياق خلف الحيوان القابع داخل نفسيتها ؟ إن أحاسيسه التي تشبه أجهزة الاستشعار عن بعد ، تؤكد له أنها قد لا تفعل ذلك وهي معه ، ولكن لـماذا خرجـت مـن الـمبني .. قـبل موعد خروجها بساعتين .. دون أن تخبره . لماذا تتلاحق الأسئلة في رأسه .. لا بد من المواجهة ..

وامســـــك بالتلـــــيفون ، وطلــــبها ، وجـــــاءه الـــــرد

ــ حاضر ..

ولم تمـض لحظـات ، حـتى سمـع دقاتهـا عـلى الـباب ، ودخلـت . لم ير وجهها ، ولم تلتقط أذناه كلماتها .. (صباح الخير..) وجلست . قائلة :

ــ كيف حالك ؟

ــ أين ذهبت بالأمس .. هل كانت أمك مريضة ؟

ــ كلا ..

ــ لماذا لم تتحدثي قبل أن تغادري المبني ؟

ــ كنا في لجنة جرد للشرائط .. في المكتبة .. وتأخرنا

ــ كاذبة !!

ـ (بدهشة) سامي

ـ قولي الحقيقة ..

ـ كان عندنا لجنة جرد

ـ قولي الحقيقة .. لقد خرجت قبل موعد الانصراف بساعتين

ـ سامي

ـ أليست هذه هي الحقيقة ؟

حاولت أن تبتسم ، أخفت عينيها بخصلات شعرها المتهدل ، تمنت أن ينسفها . كلماته .. قاذفات لهب تحرقها . حاولت أن تنظر إليه من بين خصلات شعرها ، لم تر ابتسامته المحبوبة إليها على شفتيه . كان وجهه ممتقعا ، وسهام نارية تنطلق من عينيه كالحمم ، تحرقها ، تذيبها وتشل لسانها . حاولت أن تتكلم ، أن تجد الكلمات لتنقذها من لهيب نظراته الحارقة . ماتت كلمات الكذب على لسانها صفعها قلبها ، حثها عقلها على أن تقول الحقيقة

ـ نعم .. لقد خرجت ..

ـ خيانة

ـ أرجوك لا تقل هذا .. لم أخنك لحظة في حياتي وأنت معي

ـ أريد الحقيقة

ـ لا أريد أن أغضبك .. أو

ـ لماذا لم تقولي الحقيقة ؟

ـ سامي !!

ـ لا داعي لإسمي

حاولت أن تقوم ، لترمي نفسها بين ذراعيه ، الحجرة تدور أمام عينها

ــ أجلسي مكانك .. وتكلمي بصراحة ..

ــ لا تغضب

ــ لقد غضبت وانتهي ..

ــ لا تشك فيّ .. وأنت أغلي ما في حياتي ..

ــ كـــان !!

ــ لا تذبحني .. ولا تشك في

ــ أين كنت إذن ؟ .. ولماذا كذبت عليّ .. وأنا أعيش داخل دمائك .. أعرف كل شئ .. كل شئ مررت به .. قبل أن نلتحم معاً .. هل الخيانة في طبعك ؟

ــ سامي (تحشرج صوتها) لا تقل هذا أرجوك .. أنت كل عمري .. وحبي الحقيقي .. ولكنني أخاف عليك ..

ــ يا إلهي .. ما هذا الكلام .. كوني شجاعة .. ولا تقولي إلا الحقيقة

ــ حاولت أخفيها .. لأنقذك من الدوامات التي تعيش فيها بسببي .. لقد جاء أحدهم إلي البيت .. ليتزوجني ..

ــ وبعـــــد ؟!!

.. ..

قطع رنين جرس التليفون المجاور له ، حرارة الحوار المصيري ، فرفع السماعة :

ــ نعم

ــ """"""

ــ لماذا تقدم موعد تسجيل البرنامج التليفزيوني """" سأكون موجودا ..

التقطت غادة أنفاسها في هذه اللحظات لكي تستجمع الكلمات ، وتجد المبررات ، والأكاذيب ، ولكن كل أجهزة التفكير لديها قد توقفت . فقد كانت الإشعاعات التي سلطها عليها سامي من عينيه الغاضبتين كفيلة بشل كل محاولاتها في الخروج من هذا المأزق . وتنفست الصعداء عندما دخل أحد مساعديه .. وجلس أمامها في الكرسي ، وراحا يتحدثان عن العمل ، بينما كان سامي يتحاور مع محدثه في التليفون ، وانتهت المكالمة ، ولكنه ظل رافعاً سماعة التليفون .. وعادت به الذاكرة إلي لحظة حلوة عاشها مع غادة في غفلة من الزمن .

••• ••• •••

كانا يستحمان في (البانيو) الصغير الأزرق ، بعد لحظات تلاحم ساخنة غابا فيها عن وجود البشر . وكانت قطرات الماء تنساب متساقطة ، وكأنها من نبع حب سماوي ، يغتسلان فيه . وهي من وراء ظهره ، تحتضنه ، وانزلقت قدمه فسقطا داخل البانيو ، يضحكان . واحتضنته ، وكأنها تحتضن رضيعها ، وتهدهده .. وأخذت برأسه تضمها إلي صدرها ، وتسكب في فمه رحيق حياتها ، وتغطيه بخصلات شعرها ، وكأنها تخفيه في عيون غير مرئية . ولا صوت إلا موسيقي قطرات "الدش" التي ترقص فوق مياه البانيو ، وفوق ما ظهر من جسديهما . وخشيت عليه من البرد ، رغم حرارة الجو ، فأحاطته بالمنشفة وكأنه مولود صغير .. صغير . وقبلته ، وقبلها في جبهتها ، وفى وجنتيها . وخرجا من حمام الولادة . ووقفت تعد له طعام الإفطار ، اللبن ، والشاي ، وقطعة من الجبن الأبيض ، وبعض الحلوى ، وعسل النحل . وكانت تطعمه كطفل صغير ، ويعيد إليها الطعام إلي فمها ، حتى ارتويا .. ثم ذهبا مرة أخري إلي السرير ، ليغيبا عن دقات ساعة الزمن .

... ...

وتنبه إلي ما يدور حوله ، زميله وهو يحاور غادة في العمل ، فتظاهر بإنهاء المكالمة . وتحدث مع زميله ، ووقّع على الأوراق التي أحضرها له ، وخرج . وأصبح هو وهي بمفردهما مرة أخري . وحاولت أن تنظر إليه ، وخيّل لها إنها في محاكمة ، وقال لها :

— وبعد !! وما دخل الذي جاء إلي منزلكم .. لكي تتركي العمل قبل الخروج بساعتين

— ذهبت معه لأري شقة

— شقة ؟! .. إلي هذا الحد .. وصل التعارف بينكما .. لتخرجي معه أم أنك اشتقت إلي

— سامي .. أرجوك لا تشك فَّي ..

— معاذ الله .. تخرجين مع شخص .. بمجرد أنه جاء إلي بيتكم ..

— لقد جاء وقابل بابا وماما وأخي .. وأخبره أبي أنني كنت متزوجة .. قال .. لا يهم .. إنني أريدها .. ولا أريد منكم شيئاً .. سأبحث عن شقة ..

— كل هذا لأنني غبت أسبوعين .. منذ متي وأنت في حالة هذه الخيانة .. وكيف رآك ، ومتي تعرف عليك .. ومتي تحدثت معه

— ممكن لا تتحدث عن الخيانة .. إنني كنت لا أريد أن أصارحك حتى لا تغضب .. فإذا تم الموضوع .. كنت سأخبرك في النهاية .. وإذا لم يحدث شئ .. كأنها سحابة ومرت .. إنني أخاف عليك يا سامي

— واضح .. يا ..

ـــ إنني أخاف عليك .. لقد سببت لك آلاماً كثيرة .. وخاصة مع ابنتيك .. وزوجتك .. ومن حولك

ـــ أنت تعلمين أن كل هؤلاء.لم يستطيعوا أن ينسفوا ما بيننا .. ولكنك بتصرفاتك تنسفين أحلي أيام عمرك كما خيل اليّ .. هل فقدت عقلك ؟!!

ـــ وأنا معك .. ذاب عقلي

ـــ لا داعي لعقلك .. هل فقدت أحاسيسك أيضا .. كيف تحاولين الارتباط بآخر .. وأنت تعيشين معي بكل أنفاسك .. وجسدك .. وروحك .. إنني في حيرة من تصرفاتك ..

ـــ يا حياتي !!

ـــ أرجوك .. لا داعي لهذه الكلمات الآن .. ولا تحاولين أن تهربي مما فعلت .. إذا تكالبت كل الدنيا علّى لتؤذيني .. لن يصل إيلامها مثل آلام تلك الطعنة التي جاءت في ظهري ..

ـــ لم اعرف أنني غالية عندك إلي هذا الحد .. إنني لست جديرة بك .. إن ظفر قدمك .. أفضل مني .. لا أستحقك .. إنك إنسان غالي .. نادر .. غير معقول أن تكون هكذا بهذا القلب الكبير .. كل من حولك ليسوا جديرين بك .. إنك نهر من عطاء حب .. بلا مقابل .. يا الهي ..

وتحشرج صوتها ، وامتلأت عيناها بالدموع

ـــ لا دموع من فضلك ..أكيد أنك فقدت عقلك ، وقلبك .. بعد كل هذه الأيام التي التحمنا فيها .. لا تعرفين ..

ـــ أعرف أنني أحبك بجنون .. كل الرجال حولي كالفراشات .. ويحترقون عندما يقتربون مني .. أما أنت .. فأنا كنت الفراشة ..

ونظـر إليها بحدة ، وعقله لا يصدق .. هل هي صادقة ، وإذا لم تكن ، فإن قلبه لا يخدعه أبدا ، واللحظات الحلوة التي مرت بهما تؤكد أنها صادقة ، هل تحول قلبها إلي قلب غانية ، لا ينبض إلا بامتصاص قلوب الرجال المنجذبين إليها إنهم كالعطشى في صحراء الحياة ، يهرعون إلي واحة الماء ، وعندما يقتربون منها .. يجدون كل شئ كالسراب .

إن زوجته مريضة ، ولا يستطيع أن يتركها ، وتحبه هي أيضا بجنون ، والعالم كله عندها يتجسد فيه . أعطته كل ما تملك من حب ، وعطاء ، كانت له الزوجة الوفية ، بكل معاني هذه الكلمة ، وكانت تغار عليه ، وتخاف عليه ، كحب الدببة . فالدبة عندما تخاف على أولادها الصغار من عيون الغرباء ، تخبئهم داخل بطنها ، وهي لا تدري أنها قد أكلتهم .. كانت عصبية المزاج ، حادة الطباع لا تهدأ ، لا تسكت على أي خطأ . فأحالت حياته قلقاً دائما . أما هو فكان يهرب منها بسفرياته إلي بلاد العالم ، ونساء العالم أيضا . ويعود ليجدها قابعة في البيت ، تحرس الطفلين ، وترعي شئون البيت . وتنظم مكتبه ، وكتبه . وتنظف البيت فتهدأ ليكون جميلاً ، هادئا .

دخل زميله المخرج ، يستحثه على الذهاب إلي الأستوديو لتسجيل حلقة البرنامج الأسبوعي "فن الحياة" . جلس على كرسيه ، حتى يقوم المهندسون بضبط الأضواء . وفى غرفة المراقبة والتسجيل ، جلس صديقه المخرج ومساعدوه ، وكذلك غادة تراجع أوراق ضيوف البرنامج ، وتنظر إليه عبر النافذة الزجاجية المغلقة . وهي زائغة النظرات ، ولم تسمع كلام المخرج وهو يقول لها :

— إن سامي ليس طبيعياً ، وجهه شاحب ، والسواد يحيط بعينيه إنه مكتئب جداً .. ماذا حدث له ؟

ـــ إنه هكذا منذ الصباح ..

وتحـــــــــــدث في المـــــــــــيكرفون إلـــــــــــي ســـــــــــامي :

ـــ أيـن ابتسامتك يا سامي .. سنبدأ التسجيل .. كل شئ تمام ..(سكوت .. سنبدأ) .. وتحركت الكاميرات .. وبدأ التسجيل .. وتحدث سامي :

ـــ أهـلا بكـم في اللقاء المتجدد من البرنامج .. (فن الحياة) .. ومازلنا نواصل حديثـنا عـن الحـب .. والحياة .. وآراء المفكرين .. والأدباء .. والكتاب .. والعلماء أيضـا . فالحـب الحقـيقي نبضـة مـن الألم .. والـذي يخشـي الألم لـيس جديراً أن يحـب . ويقـول أحدهـم إن حـياة المـرأة سلسـلة من المشاعر .. والحب .. والألم .. والتضـحية . وكـلما زاد حـب الـرجل .. كـلما زاد علـيه الألم .. ولـو كـان صـحيح الجســم . وقـــال آخـــر .. لــيس وراء الحـــب شـــئ .. غـــير الألم . فالحـــب و القلق .. والألم .. تسير دائماً متشابكة الأيدي . ويستطيع المرء أن يشتري أي شئ في العالم .. حتى المرأة .. إلا الحب .. لأنه قدر وطوفان تصاب به القلوب العاشقة فقط سـيداتي .. وتحشـرج صـوت سـامي وصـاح المخـرج .. (قـف) . عظـيم يـا سـامي .. ولكـن صـوتك كـان خافـتا .. سـنعيد التسـجيل مرة أخرى . كانت غادة تحملـق في سامي من خلف نافذة المراقبة . والدموع تترقرق في مآقيها ، وأحست أن كـل كـلمة يقولهـا .. كأنها موجهة إلي قلبها ، الذي ارتعش ، فخشيت أن يلاحظ علـيها العـاملون ذلك ، فأخفت وجهها في الأوراق ، وكأنها تطالعها ، بينما كانت كلماته ، وصوته يخترق كل كيانها .. وكلماته كالأمواج العاتية تغمرها بعنف ..

ـــ مـا قيمة العالم بأسره إذا خلا من نعمة الحب ؟ .. إنه يكون عندئذ أشبه بالقمر من غير ضوء

ـــ كفرت بالنساء ، مرارا .. ولكنني لم أكفر بالحب مرة .

ـ لا فائدة في هذه الدنيا للإنسان إذا لم يحب .. أو يُحب

ـ إن الحب الحقيقي يصدق كل شئ .. ويحتمل كل شئ .. ويثق بكل شئ .. فإذا امتلك قلبنا هذا الحب الصادق صرنا ملائكة .. وصّيرنا الأرض سماء .

ـ الحب الحقيقي هو الطريق الذي له أول .. وليس له آخر

ـ لكل أجل كتاب .. ولكل شئ نهاية .. إلا الحب .. فإنه كلما طال به الزمن .. قويت رابطته .

وظل الحوار مستمرا بين سامي وضيوف البرنامج والكلمات تتعانق هنا ، وهناك ، ولكن قلبها لا يلتقط إلا صوته ، والكلمات التي تحس أنها كالسهام تنطلق من قلبه . وهو يقول إن الحب هو امتزاج شخصيتين لتتكون فيها شخصية واحدة ، تنموان معاً .. فتتفق آراؤهما .. يتعاونان على المصائب .. ويقاومان التجارب .. ولا تكتمل حياة الواحدة منهما بدون الآخرة .. وإذا ابتعد أحدهما عن الآخر فترة .. شعر الثاني بوحشة .. ووحدة عظيمتين . وإذا ذهب الحب .. حل الشقاء .

وصاح المخرج "قف" .. شكراً يا سادة . وخرج سامي من الأستوديو ، واقترب منه صديقه المخرج وهمس له :

ـ (ماذا بك ؟) إنك لست في حالتك الطبيعية ..

ـ متعب يا محمد .. يمكن إرهاق ..

ـ خد بالك من نفسك .. الملايين ينتظرونك على الشاشة ..

كانت غادة تسترق السمع لحديثهما وتقاوم دموعها ، وقلبها يرتجف خوفاً عليه ، من قيادة السيارة ، وهو شبه منهار .. وانتابتها شهوة أن تحتضنه ، وتخفيه في صدرها ، وتضع رأسه فوق قلبها ، وتملّس على شعره . لينام

ويهدأ البركان الذي يمور داخله . وقد حدث أن زميلاً لهما في الإذاعة كان يقود سيارته وأصيب بأزمة قلبية . ومات وهو في السيارة وراحت تدعو الله أن يحرسه ، وينجيه . وسمعته وهو يحيهم .. ونظر إليها نظرة حارت في تفسيرها . وخرج .

وصل إلي بيته مهدوداً . استقبلته زوجته ، وابنتيه ، أخبرته أن الطعام جاهز ، طلب منها أن ينام لأنه مرهق . حجرة النوم كانت مرتبة ونظيفة . خلع ملابسه ، وارتمي على السرير ، وكأنه يغوص في بحر الألم . وقلبه ينزف ، وتداعت .. الصور مع مخيلته .. آخر صورة معها ، وهي في حضنه ترويه من جسدها ، لتضيء معه الشمعة الأولي على حبهما . وقد عاد إلي فورة شبابه . وهي تتأوه .. من النشوة .. وتألم .. يا الهي .. أبعد كل هذه الحيوات .. تحاول أن تهرب .. وتتعلق بقشة . خائنة .. كالقططه .. واستمر نزيف قلبه ، فانفجر دموعاً منسابة على خديه . واستعاد بعض وعيه على كلمات زوجته وهى (يا رب خد عمري قبل عمره .. ولا تراني أراه هكذا) .. وراح في غيبوبة

دخلت عليه ، كالغزالة ، كانت مرتدية الجيب التي أهداها إليها ، والبلوزة السوداء التي يعجب بها ، حتى القرط في أذنيها ، كان قد أحضره لها ، وفى يدها اليمنى السوار على شكل بومة جميل . وفى إصبعها الأيمن دبلته الفضية التي غُسلت مراراً بقبلاته ، وبقبلاتها . وقلبه الأبيض الملتصق برقبتها كالنائم فوق جيدها ، و صاحت والفرحة تشع من عينها كلما رأته ..

ـــ ما هذه الأناقة على الصبح .. اليوم ليس موعدا لتسجيل البرنامج .

ـــ حتى إذا سقطت .. كنت مرتديا أحسن ثيابي

ـــ لا تقل ذلك .. دمك تقيل هذا الصبح ..

ـــ لماذا ؟

ـــ إنك لا تنسي .. لماذا لم تقبلني ؟

ـــ قلبي ينقبض .. منذ الأمس ..

ـــ يا حياتي !

ـــ كيف حال الأسرة الكريمة ..

ـــ اتصلت بك تليفونياً بالأمس .. لأطمئن عليك .. إنني قلقه عليك

ـــ واضح !!

ـــ لماذا السخرية ؟

ـــ لا سخرية ولا شئ .. ولكنك تحاولين الخداع .

ـــ أنا ؟!

ـــ لأن الذي يحب لا بد أن يضحي .. هل ضحيت ..

وبوغتـــــت بالســــؤال ، كــــان كالخــــنجر .. أصــــاب قلـــبها

ـــ سامي .. أنت كل قلبي .. لم أحب إنسانا مثلك .. أنت جعلت لحياتي معني

ـــ ولهذا تبيعين نفسك .. لترتبطي بآخر .. دون أن تحبيه

ـــ ماذا أفعل .. أنا تحت رجليك .. نذهب الآن ونتزوج ..

ـــ قلت لك إن إعلان زواجي بك معركة .. ولا بد من الانتظار سنتين أو أكثر .. لماذا لا تضحين .. إذ كنت حقيقة تحبين .. إن أمي ضحت كثيراً . ملأتُ حياتك كما تقولين ، وأشبعتك من كل شئ

ـ لأنها أمك

ـ وأنت .. غانية !!

ـ سامي .. اقتلني .. ولا تسخر .. اطلب مني ..

ـ تتكلمين كثيراً بلا وعي .. طلبت أن تنتظري .. فوقي جبال ومسئوليات .. ابنتاي وزوجتي .. وأعمالي لماذا انتظرت خمس سنوات بعد تجربتك المريرة .. ولماذا اللهفة ، والإلحاح الآن .. وفى هذا الوقت القصير .. انتظري .. ربما أموت بعد أيام

وقفزت من الكرسي ، ودارت حول مكتبه .. وقّبلته ، والدموع تترقرق في عينيها ..

ـ أرجوك أنت حياتي الحقيقية

ـ لماذا تصرين على هذا الارتباط المجنون

ـ لكي أخرج من سجن بيتي .. من أمي ، وأبي ، وأختي الكبيرة .. التي أعاملها كطفلتي .. أريد أن يكون لي بيتا يا سامي

ـ خسارة .. إنه بيت من ورق .. ألم تقولي إنك تحلمين بأن تعيشي معي شهرين فقط .. ثم تموتين كلام حكايات

ـ أبدا .. كل أحلامي .. كل حياتي أن أكون معك .. الآن ..الآن ..

ـ عندك حق !! أحلام .. أحلام .. ولم تفكري في تضحية .. وبالأمس انقبض قلبي .. وخرجت من البيت لأسير حول الحديقة الكبيرة .. وقد خيل إلي وأنا جالس على الكرسي في الحديقة .. أنني أصيبت بشلل .. لا أنطق .. ونقلت إلي المستشفى .. بلا كلام .. والتفوا حولي زوجتي وابنتاي واخوتي .. وفوجئت بأنهم قد أحضروك لعلني أتكلم ..

ـ يحبونك !!

ـــ وأنـت .. يـا خسـارة .. ألـيس لديـك الموعـد مـع عبـيط الغفلـة .. جـاء بأوراقه ، ليثبت شخصيته

ـــ إنه يريد أن يتزوجني

ـــ أقصد يشتري عظاما ولحما ..

ـــ وأخفت وجهها بين زهور (الفازة) الموضوع أمامه فوق المكتب .

ـــ خسارة .. وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. وعسي أن تحبوا شيئا وهو شر لكم .. فعّال لما يريد ..

ـــ خذني الآن يا سامي

ـــ أخذتك .. ولكنني لست كالآخرين كما تعرفين ..

لقد لعنت نفسك وقلت إنك بنت ستين كلب .. ولست جديرة بي .. وأن قلبك رفض وجوده معك ..لماذا .. لأنك شعرت أنك خائنة . إنني أختلف عن كل ما صادفت من رجال .. لأنني أخاف الله .. ولذلك يحميني ويحرسني إنني ارتبط بك أمامه فقط .. وهو الذي يجعلني اكتشف خباياك .. وأن تحكين كل شئ .. كل شئ هو الذي جعلني أكتشف خيانتك وكذبك .. قبل ..

ـــ أنا لا أخونك .. إنني أخاف عليك حتى من نفسي ..

ـــ نفسك مريضة .. يا خسارة

ومـن تحـت خصـلات شـعرها ، نظـرت إلـيه ، والتقت عيناهما المغرورقتين بالدموع الحبيسة ، في عناق .. ولكنه نظر في ساعته .. وقال :

ـــ سأخرج .. لأذهب إلي صديقي الناشر

ـــ سامي .. هل ستكرهني إذا ارتبطت بالآخر

ـــ أنت ستكرهين نفسك .. اعتقد أنك ستخرجين لعريس الغفلة

ونهض ليخرج من المبني ، إلي سيارته في الجراج تحت الكوبري على كورنيش النيل .. وكانت سيارته محشورة بين السيارات ، وقام حارس السيارات ، بإفساح طريق للسيارة . ووقف سامي ينظر حوله ، فوجد غادة وهي تعبر طريق السيارات إلي الكورنيش ، وكان في انتظارها (عريس الغفلة) بلحيته الكثيفة ، يحمل حقيبة سفر صغيرة قادم لتوه من الصعيد ، واقترب منها ، ليفتح حقيبته ، ويريها أوراق اعتماده من بطاقة شخصيته وجواز سفر .. وظرف الدولارات ليقدمها عربوناً للشراء .. ولم يشعر سامي بنفسه ، وقدماه تتحركان صوبهما . وهما يتحركان . وجاء إليهما من أمامهما ، لتراه ، وهى مرتدية نظارتها لتخفي به عينيها . وصعقت عندما رأته . هل كان يتتبع خطواتها .. ماذا حدث ؟ ولكنها رأت ابتسامته الساخرة ، وسار هو عائدا إلي سيارته . وصورتها كانت أشبه بفتيات الكورنيش ، أو شارع الشانزليزيه ، أو بنات جنوا ، ومارسيليا تقف الواحدة منهن لتتفاوض مع الزبون ، على قيمة بيع الجسد .. وبصق سامي بصقة على الأرض جمعت كل ضيقه ، وتقززه ، واشمئزازه .. مما رآه ولا يدري كيف سار بسيارته بين السيارات وقلبه يرتعش مما رآه ، مناجيا ربه (لماذا جعلتني يا رب أري مالم أكن أريد أن أراه . ويكفي أنني أري كل شئ بقلبي . كيف تتلون هذه المرأة كالحرباء بمثل هذه السرعة . منذ لحظات فقط ، كانت تقبله ، وتعوي كالقطة . وتنزلق الكلمات من فمها سمًا مغلفا بعسل الأكاذيب . ماذا ستقول لأمها عندما تعود . هل ستقول لها .. إنه رآني ، وأنا أتفاوض على بيع جسدي ، ولا شك أن أمها ستقول لها ، إن أمه قد دعت له الله بأن ينقذه من عفونتك ، ونفسيتك الرديئة . كيف تقولين يا بنيتي أنك تحلمين برجل مثله ، وتحبينه ، وهو يحبك ، ثم لا تصبرين

وتنتظرينه ليحقق لك أمنيتك وتخسرين أغلّي هدية وهبها الله لك في قلبه الكبير .. ربنا يتولاه حتى لا تكون نهايتك .. فاجعة)

لم يستطع أن يقود سيارته وسط زحام السيارات ، ودمه يغلي ، يكاد يتفجر في عروقه ، حتى خيل أنه قد أصيب بغشاوة فوق عينيه ، فعاد مرة أخري إلي مكتبه ، لا يدري ماذا يفعل . ووجد نفسه ، يمسك بالقلم ، وأخرج ورقة ، حتى ينقذ نفسه من الانفجار ، ويتخلص من تلك المريضة الكاذبة ، ومن خيانتها ، ولا بد أن يفك أقوي رباط عاهدها به أمام الله ..

وكتب ...

(الحمد لله

أراني الله ما لم أكن أراه ،

فأنت الآن حرة

وأنت طالقة .. الحرية

حتى لا تكوني خائنة

فوّضت أمري إلي الله ..)

ودق الجرس يستدعي الفراش ووضع الورقة في مظروف وأغلقه ، وطلب منه أن يضعه في مكتب مهندسة الديكور غادة .

وخرج من مكتبه لا يري شيئا ، ولا يعرف ماذا يفعل . والألم يعتصر قلبه بشدة . وكل من قابله لاحظ اختفاء ابتسامته من فوق وجهه . نظراته زائغة . وقدماه تسرع الخطي ، وكأنها تطير به . وركب سيارته ، تتلوي بين السيارات .. كأنها تعرف الطريق إلي حمامه الروحي ، مسجد نفيسة العلم . وكم كانت غادة تذهب معه إلي هناك ، ليصليا لله شكراً على رعايته لهما . أما

هـذه المـرة ، فقـد أحـس إنـه كسمان الخـريف .. يتسـاقط مـن كـثرة الطـيران . نفـس الطـريق ، نفـس الشـارع المـؤدي إلـي الجـامع ، وكانـت تتشـابك أصـابعهما ، وتقبـلها ، وتضـعها عـلى قلـبها خشـية أن يطـير مـنها ، ويدعـوان ألا تفـرقهما الأيـام ، يـا الهـي مـاذا حـدث ؟! إنـه وحـيد !! وعـندما اقـترب مـن الجـامع كانـت سـاحته مكـتظة بمـئات الـناس ، جـاءوا لـيدعوا في يـوم زيارتهـا ، وصـوت الـزغاريد يمـلأ المكـان ، عـريس وعروسـة وأقاربهمـا .. يـزفونهما .. في فـرحة .. ودخـل الجـامع لا يشـعر بـأي شـئ .. ولم يـدر إلا وهـو أمـام المحـراب ، وقـد جلـس بعـض المـريدين .. يشـعلون الأبخـرة الـتي عّبقـت المكـان . ووقـف ليصـلي مسـتنجداً بـرب القلـوب .. والدخان يغطـيه ، والدمـوع تنسـاب مـن مآقـيه تغسـله ، وتطهـر روحـه المعذبـة .. من تلك الـروح الخبيـثة الـتي سـيطر علـيها الشـيطان .. وسـجد لله شـكراً .. وقـد أنقـذه الله مـنها !!

آه
يا بلد !!

** الطبعة الثانية ٢٠٠٢

● انفجار ●

●● اننى أستريح .. وأنا أرى القاهرة .. تحت قدمى . والبيوت .. كبيوت النمل . والقبور .. ينيرها الأحياء بالتليفزيونات والكهرباء .. بانوراما عجيبة يعجز أى عبقرى عن اختراعها !!.



انتهى من أداء صلاة الفجر . جلس الى مكتبه بعد غياب شهر فى رحلة فى ضيافة الرحمن . كانت كل الأشياء فى حجرة مكتبه تبدو باهتة .. رفوف الكتب من الأرض إلى سقف الحجرة ، كأنها الجواهر واللالىء ، فى متحف الفن الانسانى ، لكنها تختلف عن الجواهر المادية . لأنها أروع ماأبدعه الانسان من ترجمة الأحاسيس والمشاعر واستقرت عيناه على مجموعات الكتب الدينية الكثيرة ... ولكنه طمأن نفسه .. أنه مازالَ فى العمر بقية .. ليتذود من خلاصة من سبقوه فى كشف سبل هذه الحياة الرخيصة . العفنة التى يتكالب عليها معظم الناس .. كما تتكالب الكلاب على قطعة عظم عفنة ..

كان فى تلك الرحلة .. يشعر بالسعادة تغمر كل وجدانه وأحاسيسه وهو يطوف حول البيت العتيق حافى القدمين عارى الجسد الا من غلالة تستر عورته و يطوف .. و يطوف .. و يطوف ..

مترنما بكلمات الاستغفار .. والحمد .. والشكر .. والدعاء ناسيا كل ما مر به من صراعات ودوامات فى تلك اللعبة التى يسمونها .. الحياة .. وقد تلاشت السنوات الأربعون من ذاكرته .. وكأنها طيف .. أوحلم مر بخاطره ..

ولفت نظره مجموعة الخطابات التى وصلته أثناء غيابه وأمسك بها .. يتصفح الأظرف الخارجية .. واستقرت عيناه على ظرف أصفر .. لابد أنه آت من جهة حكومية .. أو الضرائب ..

ففتحه .. ووجد استمارة بها أرقام .. وخطاب مرفق بخط رديء .. يخطره بأنه قد تم الحجز عليه لعدم سداده الضرائب على ايراده من أحاديث الاذاعة منذ سبع سنوات .. وغرامات تأخير .. فانتابته الدهشة .. كيف يحدث هذا .. وانه قد سبق عليه الحجز .. وسدد تلك المبالغ .. وأنه قد سدد ماعليه قبل أن يسافر الى الاراضى المقدسة .. ولذلك قرر أن يكون أول عمل يؤديه فى ذلك اليوم هو الذهاب الى الضرائب .. ليرى ماحدث .. وما حقيقة الأمر ..

واستقل سيارته .. وعاد الى رحلة العذاب اليومية التى استراح منها أكثر من شهر .. وانطلق بالسيارة بين مئات السيارات و يغوص فى حفر الطريق و يصعد الى أكوام الحجارة التى تزين جانبى الطريق .. الى أن وصل الى مقر الضرائب .. وعبثا يحاول أن يجد مكانا ليترك السيارة .. وبعد أن طاف بجميع الأزقة اضطر الى أن يتركها بجوار احدى السيارات ..

والتقى بمأمورة الضرائب الحسناء .. فقد تحولت المأمورية الى مأمورية نساء وآنسات .. فالاعتماد على المرأة فى جلب الأموال مثل الكباريهات ... والكازينوهات خير وسيلة سريعة للحصول على الأموال ..

ودار الحوار بين المأمورة وصاحبنا :

— كيف يتم الحجز دون اخطارى ؟

— لقد أخطرناك بخطاب مسجل

— أين هـــو ؟

— هذه هى صورته

— ولكننى لم أتسلمه لأننى كنت ضيفا من ضيوف الرحمن

— لا شأن لنا

— ولـكننى سددت هذه المبالغ منذ سبع سنوات .. فكيف يتم الحجز بعد ذلك ؟

— آه ان هذا المبلغ الأخير .. بواقى تلك السنة

— بـواقـى .. المثـل يـقـول اليهـودى لما يفلس يبحث فى دفاتره القديمة ..

— انـه مـبلغ بسيط .. ويجب ان تدفعه .. وعليه أيضا .. غرامة تأخير .

وحاولت أن تخرج لعبة الالة الحاسبة من درج المكتب ولكن بـطـهـا المـنـتـفـخـة .. حـيـث يتكور فيها جنين فى طر نقه الى دنيا اللعبة .. منعتها فقامت متضايقة ..

— لقد أتعبتنى يا أستاذ ..

— انـنـى أسـدد مـا على من ضرائب .. ولا أمانع فيها .. ولكن غرامة التأخير هذه .. ما شأنى بها .

— قانون يا أستاذ !

— أى قانون هذا .. هل أنا نهبت مائتى مليون جنيه مثل بعضهم .. وهربت الى الخارج .. مجهول العنوان . اننى أسدد بالتزام ما على من التزامات ..

— عظيم ادفع ما عليك .

— اننى لا امانع .. ولكن هذه الغرامة غرامة التأخير انها إتاوة ..

— لا يا أستاذ .. انها قانون .

— قانون الا تاوات .. ان الراقصة فى كباريهات شارع الهرم .. تلتقط بين ثدييها مئات الجنيهات .. ولاضرائب عليها وضحكت المأمورة الحسناء ..

— انها نقطة ..

وضحكت باقى المأمورات الحسناوات الموجودات فى الحجرة . فقد انحشرت الحجرة الضيقة وعلى المكاتب عشرات الدوسيهات والملفات .. فى انتظار ايذاء البسطاء من الناس وانزال الصواعق عليهم ..

— ان الناس البسطاء الذين تتمرنون فى ايذائهم هم الذين يدفعون الضريبة .. أما ملوك المافيا .. والحشيش والتهريب .. وملوك الانفتاح وأصحاب السيارات ذات الثمانين ألف جنيه .. لايمكن أن تحصلوا منهم على الضرائب .

وانخرست المأمورة وارتسمت ابتسامات بلهاء على شفاه باقى المأمورات الجميلات ..

— هذا ليس اختصاصنا .. انها اختصاص مأمورية مكافحة التهرب من الضرائب .. المهم ان تدفع .. آه .. لقد نسيت ..

— نسيت ماذا ؟

— لابد أن تدفع قيمة الخطابات التى سوف نرسلها الى الجهات والبنوك التى وقعنا عليك الحجز فيها .

— بنوك .. اننى لا أضع أموالى فى بنوك مصرية .

— أين تضعها ؟

— فى بنوك اسرائيل

— سنحجز عليها

— ليس بينك و بينها اتفاقية .. يا آختاه ... لو كان معى نقود تستحق وضعها فى البنوك .. لما جئت اليك .

— لاشأن لنا

— لكن شأنك هو ارهاق الاخرين .. فوق ارهاقهم فى الحياة

— هل ستدفع ؟

— سأبحث الآن مع نفسى .. الا يوجد شخص آخر أو رئيس ..

— ولا وزير المالية .. اننا نطبق القانون

— كما فعلت الدبة .

— ما هذا يا أستاذ ؟

— هل تعرفين قصة الدبة التى أرادت أن تحمى صاحبها من ذبابة .. فهشمت رأسه بحجر.. ان أسلوبكم هذا فى عصر الجباية هذا .. يجعل الشرفاء يتحولون الى سلبيين .. وسيدفع مولودك الثمن بعد ذلك ..

وخرج صاحبنا .. والمرارة تعصر قلبه .. وغمامة قاتمة تعشش فوق عينيه .. وقد أحس بغليان دمه داخل رأسه .. وذهب الى سيارته .. فوجد عليها طابع مخالفة لأن السيارة تقف فى الممنوع .. و بصق على الأرض .. وأطلق مافى صدره من ضيق فى تلك الكلمات .. « آه يابلد » .

وفى مكتبه جلس يحاول أن يلملم نفسه المبعثرة فى دوامة ماديات الضرائب والوقوف فى الاشارات .. وترك سيارته مرة أخرى فى الممنوع .. فالجو حار والشمس تحرق البقية الباقية من الأعصاب .. ودق الجرس .. جاءه الفراش .

— اين الآنسة ميرفت ؟

— ذهبت هى وزميلاتها لمواساة مدام فاطمه زميلتهم ..

— لماذا ؟

— كادت تموت فى عملية الولادة بالمستشفى

— لاحول ولا قوة الا بالله

— وربنا ستر .. وتم انقاذها .. ولكن المولود مات ..

— ما الذى يحدث .. لاشىء سعيد !!
ودق جرس التليفون

— آلــو ..

— أين كنت ؟

— ياه .. أين أنت .. ؟

— طلبتك أكثر من مرة .. وقالوا لى أنك مسافر الى بيت الله

— الحمد لله .. الحمد لله .. ماذا وراؤك ؟

— كانت هناك بعض المشاكل .. ولم أجد من أستنجد به الا اننى .. ولكنك سافرت ..

— ماذا حدث ؟

— زوجى كاد يضيع منا

— ماذا حدث .. ؟

— ضاقت الحياة بنا .. بعد أن عدنا من الخارج .. ومعنا بعض الأموال .. افتتح مشروعا لبيع الأثاث .. وأعطى التجار البضاعة .. ومرت الأشهر ولم يدفع أحد شيئا .. وفى حوار حاد مع أحد التجار سقط زوجى مغشيا عليه ..

— لا حول ولا قوة الا بالله .. وماذا بعد ؟

— نقلناه الى المستشفى .. وأصيب بحالة شلل ..

— ماذا حدث للناس .. لقد تحولوا الى وحوش فى غابة ..

— وأكثر

— أنها لعنة من الله على الناس .. لأنهم ضلوا الطريق

— قلت .. انك تعرف أخصائى

— الأخصائى .. هو الله يا أختاه

— لقد أصبت بالاكتئاب

— **أننى أحس أيضا بالإكتئاب .**

— كيف ؟ .. وانت راجع من مكان طاهر ..

— وما قيمة ذلك .. وهناك الضرائب والا تاوات وعتاولة المافيا .. وعصابات مايسمى بالانفتاح ينهشون فى بعض .. ولا أحد يعلقهم من رقابهم ..

— ياه .. إنك

— أعرف .. انى فقدت الرؤية .. لم أستطع أن أتوازن مع نفسى .. اننى أنطح رأسى فى جبال .. الواقع .

— وايمانك

— لولا بقية من ايمان .. لتحولت الى شيطان ..

— انك لست فى حالتك الطبيعية

— هو كذلك

— أرجو أن تعود الى طبيعتك .. اننا فى حاجة اليك ... الى اصرارك على الصمود دائما

— ان الاعاصير أقوى مما صادفنى طوال حياتى

— سأتصل بك فيما بعد

— وهــو كذلك

دق جرس التليفون مرة أخرى

— خطيبة سيادتك يا أفندم ..

— شــكرا

— ألو .. هل انتهيت من أعمالك ؟

— اننى انتهيت من نفسى .. سأنزل اليك فورا ..

ولملم الاوراق من فوق مكتبه وحمل حقيبته ونزل .. فوجد خطيبته تستقبله بابتسامة كعادتها ولكنه لم يستطع أن يبتسم .. وخرجا من المبنى الى الشارع .. كانت السيارات تمرق من أمامهما .. وقالت :

— أين السيارة ؟

— هناك بجوار كورنيش النيل

وقف مدة .. وهو يحمل الحقيبة فى يد وفى اليد الأخرى مجموعة من الأوراق والصحف .. ومرت السيارات الى أن وجد

الطريق شبه خال .. فحاول العبور .. ولكنه فوجىء بعربة نقل آتية نحوه مسرعة وتقدم الى الأمام مسرعا فرأى السيارة تقترب نحوه فتراجع .. واختل توازنه وسقط على الأرض وتبعثرت الأوراق وكادت السيارة تمر فوقه وأخطأته ببضع سنتيمترات .. وحاول أن يقف .. ولكن ذراعه الأيسر لم يسعفه على الوقوف فقد تغطى بالدماء التى تنزف بسرعة .. وهرع اليه بعض المارة .. وساعدوه على الوقوف .. فوقف مذهولا اذ كان مع الموت وجها لوجه منذ ثوان . التقت عيناه بمنظر خطيبته وهى واقفة كقطعة من الحجر وقد وضعت يديها فوق وجهها الشاحب .. والتقطت أذناه عبارات مختلفة من المارة « الحمد لله .. ربنا ستر » « كتب لك عمر جديد » .. « سواقين مجانين » .. « السواق هرب » .. « سيارة النقل بلا نمر » .. « آه ياالله » .. « الحمد لله » .. « انتبه وأنت تعبر الشارع » .

وفى لحظات أصبح الشارع خاليا من السيارات .. واختفى المارة وحمل صاحبنا الحقيبة والأوراق وعبر الشارع وخلفه خطيبته صامته .. وقد فقدت النطق .. وذهب الى سيارته ووضع فوقها الحقيبة والأوراق .. وفتح الباب وأخرج علبة المناديل الورق ليمسح الدماء .. وأخرجت خطيبته منديلها لتضعه فوق الجرح .. لتوقف النزيف ..

ــ لابد أن نذهب الى أقرب مستشفى

ــ لماذا ؟ لاداعى !

ـــ لابد أن نذهب الى أقرب صيدلية ..

وظلت تمسح الدماء بينما تعلقت عيناه بمياه النيل الكالحة اللون ووقفت آلة التفكير لديه وبحركات آلية .. دخل السيارة ومعه خطيبته .. وانطلق مع بقية السيارات الى صيدلية كانت قريبة وتم تطهير الجرح وتناول بعض الأدوية .. وقد انطلقت السيارة مرة أخرى فى طوابير العذاب فى شارع مجرى العيون ثم صاعدا الى جبل المقطم ليبحث عن شقة هناك للمرة الثالثة ..

وسمع آذان صلاة العصر، فدخل الجامع الوحيد هناك هو وخطيبته ليستعيد نفسه .. و يشكر الله على منحه القدرة على الصبر. وفى الجامع . لم يجد ماء ليتوضأ فتيمم وأدى الصلاة وخرج ليبحث مرة أخرى عن شقة الاحلام .. وذهب الى صديقه الذى وعده بالعثور على شقة فى المقطم .. أجمل مكان بالقاهرة للاستشفاء من جحيم القاهرة .. ولكنه لم يجده فقد سافر لبعض أعماله .. وانطلق بسيارته بين شوارع المقطم باحثا عن شقة .. الى أن وصل الى حافة المقطم حيث يطل منها على القاهرة .. قابعة فى السفح بآثارها .. و بظلال بيوتها .. حيث غطتها سحابات من الأدخنة الصاعدة من أفران الجير .. التى تملأ منطقة « عين الصيرة » جلس هو وخطيبته .. فوق إحدى الصخور .. يتناولان بعض الشطائر والشمس تميل نحو الأفق .. لتنام خلف الأهرامات .. التى تبدو بعيدة .. وجلس يأكل همه وغيظه وخطيبته تحاول أن تخفف عنه .

— لن يضيع الله جهدنا فى البحث عبثا ..

— لماذا ندخل الله فى كل شىء .. ومايحدث لنا من صنع الانسان

— أنك تؤمن بالله

— لا حول ولا قوة الا بالله .. ولكن مانحن فيه .. ليس من صنع الله .. انه لايعذب الناس ..

— لا تيأس ..

— أنا لست يائسا .. ولكننى أنفجر من الداخل .. أنظرى هناك .. تحت .. هذه مقابر البساتين .. ان الأحياء يزاحمون الأموات فى قبورهم ولا نجد أنا وأنت مكانا لكى نمارس حياتنا الطبيعية .

ونظرت اليه خطيبته .. نظرات مفعمة بالحب ولم تتكلم — ان الكلمات تنطلق من فمه كطلقات مدفع رشاش .. وانطلقت الكلمات من فمه :

— يقولون أن نيرون الذى احرق روما مجنون .. ولكنى أتمنى الآن .. لو أرى القاهرة وهى تحترق ..

— ماذنب الناس الطيبين الصابرين

— لأنهم سكتوا على الأشرار .. واستطابوا الحياة بجانبهم .. يرون كل الفساد ولا يتحركون ..

— وما ذنب البلد ؟

— آه .. يابلد .. ماذا جرى لنا .. ؟

— وتحرق الأهرامات ؟

— الأهرامات لن تحترق .. انها شامخة .. ترمز لسطوة فرعون .. وجبروته ان الناس منذ الأزل يحبون سطوة الفرعون .. واستكانوا لهذا .

— انت تغالط .. ليس هكذا كان الناس .. لقد قتلوا الفراعنة والمستغلين ..

— عندما أصبحوا رجالا .. أنظرى الى القلعة قلعة محمد على .. جاء من هناك .. وشيد تاريخا بالدم ومات ... وطوى التاريخ أفراد أسرته .. و بقى رمز الجبروت .. فى القلعة .. ونبيع مشاهدة الرمز للغرباء .. والسياح

— لماذا كل هذه النظرة السوداء ؟ .. أرجوك .. استرح لحظة ..

— ليتنى أستريح ..

— هيا ننزل من هنا

— بالعكس اننى استريح هنا .. وأنا أرى القاهرة .. تحت قدمى .. والبيوت كبيوت النمل .. والقبور ينيرها الأحياء بالتليفزيونات والكهرباء .. بانوراما غريبة يعجز أى عبقرى عن اختراعها ..

— ليس الحل فى أن تحرق كل شىء !

— لكي يأتي أناس جدد .. يستحقون أن يعيشوا فوق تلك الأرض ..

— انهم موجودون فعلا

— أين ؟

— أنت مثلا .. وغيرك كثيرون .. تستطيعون أن توقفوا الأشرار

وضحك .. ضحكة .. ضاعت في ذلك الفضاء الواسع .. أمام بانوراما الغروب والشمس تلملم ألوانها وأشعتها من فوق القاهرة كلها .. ليرخي الظلام علالات شفافة رمادية عليها ..

ولكن ان هذه الاماكن .. والآثار تحكي قصة حبنا وأمامك جامع السلطان حسن والرفاعي وابن طولون ..

— عظيم .. عظيم .. أن السلطان حسن بنى جامعه ولم يدفن فيه .. لقد اغتاله الخونة المماليك .. أما الحب .. الذي كنت أحيا به .. وأتنفس به أصبح ذكرى ! ..

— كيف .. وأنا بجانبك .. ؟

— ما أنا فيه أنساني نفسي ! ..

— انها فترة . ودوامة لاتجعلها تجذبك الى القاع وأنت أحسن حالا من الكثيرين ..

— المشكلة أنني أحس بالآخرين ولا أستطيع أن أحس بالسعادة ومن حولي يتألمون أنظري .. انظري هناك ..

— أين .. ؟

— لا .. ليس على القاهرة .. ولكن بجانبنا .. هؤلاء الأحبة والعاشقين ما الذى يفعلونه .. بعد ذلك هه ..

— لا أفهم

— مجرد عبث بالحب .. وحكايات حب فاشلة بسبب الاحباط .. أنا مثلا

— عظيـــم

— العظمة لله ياحبى .. أنا مثلا .. أحس أن قصتنا سوف تختنق .. اذا لم نجد شقة

— لا تقل هذا

— أنها الحقيقة المرة .. وموعد تنفيذ الاعدام فى حبنا آت لاشك فيه

— انك متعب .. هيا بنا نسير قليلا .. هيا ..

ووقف صاحبنا .. وكأنه يرفع من فوق كاهليه أثقالا من الحديد .. كأنه فى مسابقة لرفع الاثقال .. وأحاطت وسطه بذراعها الايمن .. وكأنها تمنعه من السقوط .. وظلت تدندن بأغنية حبيبة الى نفسيها .. وسمعا صوت آذان المغرب .. يدعوهما الى الاستحمام فى بحر الرحمن .. بعيدا .. بعيدا .. عن الأتربة .. والغبار .. وغمر نور القمر ظلام المقطم ، وشعشعت الأنوار فى أفق القاهرة .



● زلطة ●

●● وحمل كل شيء ..
ونظر الى الأرض فوجد ..
الزلطة المكسورة ..
فركلها برجله .. ثم سار ..
وهو يتمتم ..
يا كريم ..



وتراجع

الناس الكسالى بوجوههم الى الوراء قليلا ، خشية أن يصابوا برذاذ اللهب المتكرر المنبعث من فم ذلك الرجل العارى الصدر، وهو يقدم ألاعيبه البطولية أمامهم . وكان الرجل يقوم بعدة حركات بهلوانية ، و يرتمى على الزجاج المهشم ، ويجعل أحد المارة يقف على بطنه ، و يصرخ فى الذين تسمروا فى الكراسى أمامه .. على القهوة ليشاهدوا براعته ، وتضايق الرجل لانشغال الكثير ين عنه ، فترك الألعاب العادية ، وملأ فمه بقليل من « الكيروسين » وأشعل عدة الشغل ، و بكل ما فى صدره من مرارة ، أطلق رذاذ الكيروسين من على عدة الشغل المشتعلة ، فأحدثت ذلك اللهيب وتنبه بعض الكسالى ، ولكن أحدهم قال له :

ـــ حاسب ياعم تحرقنا .

و بصوت متحشرج رد عليه الرجل العارى الصدر:

ـــ سليمة يابيه ان شاء الله .

وراح يكرر المحاولة مرة تلو الأخرى بينما كانت السيارات والعربات وسيارات الأتوبيس .. تمر من جانبه مسرعة ، والمارة يتأففون من الرجل لأنه يسد جزءا من الطريق المزدحم . والشمس تسقط أشعتها الحارقة فوق رؤوس الناس ، فتذيب من نفوسهم قطرات الصبر. وميدان المنشية ، مشتعل بالحركة والسيارات ، و بلهيب مرارة الرجل العارى

انتهائه من لعبة النار:

— شوف يا حضرة انت وهو.. لعبة الزمان .. لعبة عم زلطة ..

وانحنى الرجل الذى جاوز الخمسين وان كان يتمتع بأطلال قوة شبابه . ومد يده الى جوال قديم ، وأخرج بعض قطع الزلط الكبيرة ، وقذف بها الى الأرض قائلا للناس الجالسين أمامه على القهوة :

— شوف يا حضرة .. اختار أى زلطة تعجبك .. وأنا أكسرها بايدى .. أرميها يمكن تكون مكسورة ..

وعندئذ التفت الرجل الى شابين كانا يلعبان الطاولة منذ مدة وقال أحدهما للآخر :

— لا فائدة .. لن يستطيع كسر الزلطة .. هل ترى ماذا سيفعل وقال زميله : لا أعرف يا خبير.

— سيقوم بعملية نصب .. سيمر على كل واحد فى القهوة و يطلب منه قرشا .. و يلم الزلط .. و يرحل ..

— انها وسيلة لأكل عيشه ..

— ماذا فعل ؟

— انظر اليه .. لترى .. العرق يسبح على صدره العارى .. وفتات الزجاج المهشم ملتصق بظهره... والكيروسين يسبح من فمه ..

— بهلوان .. دعنا منه .. العب . وارمى الزهر..

— دبش .

وصاح الرجل وهو يمسك بزلطة كبيرة .

ـــ شوفوا يا حضرات .. لما أكسر الزلطة بأيدى ..

وارتكن الرجل على ركبته اليسرى فوق الأرض ، ووضع الزلطة أمامه ، وقبض عليها بأصابع يده اليسرى ورفع قبضة يده اليمنى ثم هوى بها بشدة فوق الزلطة .. فارتطم الكف بالزلطة .. ولم يحدث أى شيء .. وصاح الرجل :

ـــ ياقوى ..

وأعاد الرجل المحاولة مرة ثانية ولم يحدث أى شيء ، بينما صاح أحد الجالسين على القهوة ، عندما شاهد امرأة (متختخة) تتمختر أمامه فى الطريق (فى الطريق المزدحم) .

ـــ ياأرض احفظى ماعليكى ..

ـــ ياقوى ..

ولكن الرجل ، كان يعيد محاولاته لكسر الزلطة التى لم تتأثر بتلك الضربات اللينة ، وصاح الرجل ، وهو ينظر الى عيون رواد القهوة المحلقة فى الزلطة ، لترى ماذا سيفعل :

ـــ قالوا لى ايه اللى رماك على المر .. قلت اللى أمر منه .. يا كريم يارب .. ورفع يده هذه المرة ، وهوى بها بشدة فوق الزلطة ، التى لم يحدث لها أى شيء ، بينما تاهت نائمة ألم صدرت من فمه فى تلك الصيحة التى أطلقها أحد الشابين قائلا لزميله :

ـــ دوسه ياحلو.. حبستك فى خانة اليك ..

ونظر الى الرجل ، وهو يرفع قبضة يده ، ويهوى بها فوق الزلطة وارتعشت العين المبحلقة ، وهى ترى قبضت الرجل الطرية وكأنها تئن فى كل مرة ، بينما تساقطت بعض قطرات من العرق على الأرض من جبهة الرجل ، بجوار الزلطة وقال الشاب لزميله :

— انظر .. ان أكل العيش مر .. العرق يتساقط من جبهة الرجل .. والزلطة لا تنكسر ..

فقال له زميله :

— عبيط .. انها حركات يا ساذج ..

— كل هذا من أجل قرش ..
قرش من هنا .. وقرش من هناك .. والحصيلة آخر النهار .. أحسن من كل مرتبك فى آخر الشهر.

— حرام عليك .. بذمتك هذا الرجل البهلوانى كما تسميه .. أليس أفضل من رئيس السكرتارية فى شركتنا .. انه لايفعل أكثر من شرب القهوة واستقبال الضيوف ..
انظر الى الرجل البلهوانى ..

وفى تلك اللحظة سقطت قبضة الرجل بعنف فوق الزلطة فتطايرت شظية رفيعة منها .. وصاح بعض الصبية الملتفين حول الرجل ، بينما بدأ الارتياح فى العيون المبحلقة ومسح الرجل قطرات العرق .. وارتسمت على عينيه لمحة الطمأنينة بعد أن انتابه القلق . وصاح وهو يحاول ضرب الزلطة بقبضته :

— صلوا على النبى يا حضرات .. كل واحد يصلى على النبى المختار .. يا قوى ..

وانهال الرجل على الزلطة بعدة ضربات سريعة ، فانفلقت الى نصفين وصاح الصبية مهللين ، وقام الرجل ليجمع القروش من العيون المبحلقة . وسرعان ماتحولت العيون الى اتجاهات أخرى . وكأنها لم تشاهد شيئا . وطاف الرجل باللذين تسمروا فوق الكراسى وهو يردد كلمة :

— يا كريم .. صلوا على النبى .

واقترب من الشابين ، فوضع احدهما قرشا فى راحة الرجل الذى قال له :

— ربنا يسترها معاك يا بيه .. وابتعد . بينما قال له زميله :

— عبيط والله .. تدفع مليما لهذا الرجل ..

— ما أكثر الدجالين .. الذين لايفعلون شيئا ..

— طيب ألعب .. ولا داعى للكلام الفارغ ..

واقترب القهوجى من الرجل الذى كان ينظر الى القروش القليلة القابعة فى راحة يده .. وقال :

— شيل كراكيبك يا عم .. خلينا نعرف نشتغل .. وسع السكة .. وصاح بأعلى صوته :

— شيشة .. واثنين قهوة على الريحة .. و واحد ينسون ... و وضبه .. أيوه .. جاى ...

ورد الرجل وهو يستر صدره العارى بقميص مهلهل ، و يلم عدة الشغل :

— ربنا يسترها معاك يابنى ..

وحمل كل شيء .. ونظر الى الأرض فوجد الزلطة المكسورة .. فركلها برجله . ثم سار. وهو يتمتم ..

— يا كريم ..

● من الشارع ●

●● وعاد الشارع إلى أضوائه
الناعسة وصمت القبور .
الذى يتمزق بين لحظة
وأخرى .. بنباح الكلاب !..



أحد :

« شوارع شبرا الشاحبة الأضواء .. بعض الأشباح من الناس يمرون من الشارع ، وقد اقتربت الساعة من الحادية عشر مساء .. وعلى الرصيف بجوار حائط أحد المنازل تكومت امرأة .. هى وتراب الأرض .. وظلام الشارع شىء واحد ، لولا أنينها المكتوم .. كصراخ قطة دهمتها عجلات سيارة .. وبجوارها وقف عنتر .. يضربها بحذائه .. اقترب بعض المارة .. كعادة المصريين .. يرون ما يحدث فى الظلام .. شعرت المرأة باقتراب الناس فارتفعت صرخاتها الأنين .. وبدأ العويل ..

— يا أمى .. آه .. آه .. الحقونى .. آه .. الدم .. الدم .. يا أمى .. الحقينى .

— اخرسى يابنت الكلب ...

— آى .. آى .. الحقونى .. الدم ..

طفل يصرخ .. ثلاثة أولاد بجوار المرأة يصرخون هم أيضا بذعر .. بعض نوافذ المنزل تفتح ... تضاء الأنوار تطل منها رؤوس ... لترى ما يحدث .. ازداد عدد المارة حول المرأة المكومة التى استمرت فى العويل وهى ممسكة بطفلها .. المذعور ..

— قومى يابنت الكلب ..

— آى .. يا أمى .. الحقونى ..

— قومى روحى .. أحسن أموتك ..

— أموت أحسن .. آه .. آه .. الدم ...

— عيب .. كفاية تضربها

— مراتى .. وأنا حرفيها ..

— سَايبنا بدون مليم .. وهربان

— اخرسى .

— اطلب فلوس .. يضربنى ..

— كل وجهها دم .. تطلب الاسعاف ..

— آه .. آه ... الدم .. آه .. يا أمى

— ماء .. ماء ..

— اغسلى وجهك ..

— آه .. كل ما أطلب قرش .. يهرب بالشهر ..

— بنت كلب .. قومى أحسن ..

— عيب لا داعى للضرب فى الشارع .. اعطها أى شىء ..

— معاها كل حاجة ..

— كداب .. كداب .. كداب ..

— اسكتى عيب ..

اقترب أحد المارة معه راديو ترانزستور مفتوح ، من مجموعة

الاشباح ليبحث بعينيه فى هذا الظلام عن استفسارات أسئلة فضوله ، بينا اللحن المميز لنشرة الأخبار يعزف . و ينطلق صوت المذيع يقرأ النشرة ..

— هنا القاهرة ..

صرح ناطق عسكرى بأن مجموعة من قواتنا الخاصة قد عبرت القناة وقامت بعدة عمليات ناجحة خلف خطوط العدو والحقت به خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات وعاد جميع الأفراد الى قواعدهم سالمين .

وأعلن متحدث باسم قوات الصاعقة ، بأن مجموعة من الفدائيين قاموا بنسف الخط الحديدى فى غزة للمرة الثانية خلال هذا الأسبوع . وتمكنت من تدمير سيارة نصف مجنزرة فقتل وأصيب جميع من فيها ..

وأغلق الراديو .. ليستمع الى صراخ المرأة

— كداب .. يصرف الفلوس على الخمر

— اسكتى يا بنت الكلب

— عيب .. لا داعى للضرب ..

— كداب والله

— عيب .. اسكتى ..

— رجاله يدافعون عن بعض .. والمرأة .. كل وجهها دم ... الا يوجد رجل .. بضربه .. الجبان ...

— كداب .. والله .. كداب   حبان ..

— لا تسمع كلامها ..

— اسكتي ياست .. وامسحي الدم .. قومي ..

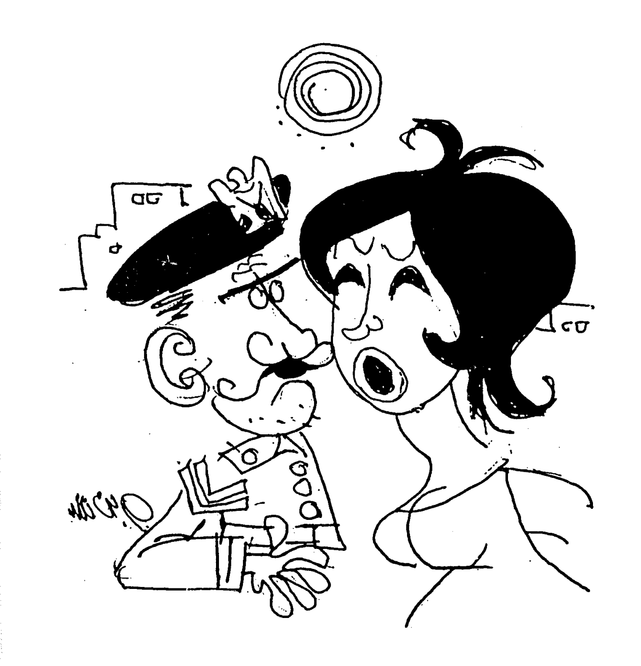
— جبان يضرب الطفل ..

— آه .. آه .. تعالى يابت .. تعالى يا ولد .. هات أخوك ..
لملمت المرأة ملاءتها السوداء، ومسحت وجهها بكمها بعد أن غسلته ببعض الماء وسارت وخلفها أولادها الثلاثة، وهى تحمل طفلها الصغير .. وتكلم «عنتر» ملقيا السلام على الأشباح الذين التفوا حوله.

— السلام عليكم ..
وسار فى الاتجاه الآخر .. وأغلقت النوافذ، وتفرقت الأشباح .. وعاد الشارع الى أضوائه الشاحبة، وصمت القبور الذى يتمزق بين لحظة وأخرى .. بنباح الكلاب ! ..

● مزق الصمت
صوت امرأة ! ●

●● عندما يخنق الزحام الناس ..
والأجساد .. والأنفاس
ويصبح الصمت ضرورة ..
لابد أن يمزق الصمت صوت إمرأة !!!



يمين .. شمال .. شمال .. يمين

رقصة جديدة يقوم بها ركاب أحد « أتوبيسات » القاهرة . الكراسى ممتلئة .. ومكتظة ببعض السيدات السمينات ، بقية الركاب يقفون رافعين أيديهم كأنهم يستنجدون بربهم .. ويمسكون بمواسير النجدة ، بنات .. سيدات .. شبان .. شيوخ .. عجينه ممتزجة يصعب على العين أن تفرق بين جسد .. وجسد . الكل أصبحوا جسدا واحدا .. يتمايل كلما وقف .. أو سار .. الأتوبيس أو انحرف .. أو « فرمل » يمينا .. وشمالا .. وشمالا .. ويمينا .. صمت مؤقت .. يخرس الركاب .. لولا بعض الكلمات « الكمسارى » ..

— وسع ياأفندى .. ادخل .. دنيا وسع .. تذاكر .. تذاكر ..

صفارة الكمسارى ترن ...

يسابق الأتوبيس « سيارات التاكسى »

والركاب الواقفون .. يمارسون الرقصة ..

يمين .. شمال .. يمين ..

ويمزق الصمت المؤقت .. صوت سيدة ..

— قلت لك ابعد يا كلب ..

— اخرسى ..

— ياجبان .. بتقرصنى ..

— اسكتى ..

— ولك عين ..

— ...

— يا دهوتى .. الحقونى .. بتضربنى يا قليل الأدب ..

— يا .. يا .. يا .. الحقونى ..

— ماذا حدث ؟

— لا نعرف ..

— هذا الشاب .. يضرب المرأة ..

— عيب .. يا جدع ..

— الناس واقفة تتفرج ..

— آى .. آى .. الدم .. الدم .. يا دهوتى ..

— سيبى هدومى ..

— أبدا .. أبدا .. الدم .. بتضربنى يا جبان

— كلب .. يا .. الشرطة ..

— عيب يا ابنى ..

— قطعت هدومى .. غرقتنى دم ..

— دمى .. آ .. آى .. يا دهوتى

— يا سواق .. وقف الأتوبيس ...

— لا ..

— اذهب الى القسم ... أقرب قسم شرطة ...

— قسم الأزبكية ..

— آى .. عضتنى ..

— اتأخرنا عن الشغل

— الدم سال على وجه المرأة .. وفستانها ..

— وقميص الشاب ..

— آى .. الدم .. الشرطة ..

(الأتوبيس) يقترب من القسم ..

يقف .. ينزل الركاب ... ماعدا المرأة والشاب . كانت سمينة كالمصارعين .. سمراء .. منكوشة الشعر .. مثل « مكنسة ليف » هدها الكنس .. الدم عربد فى وجهها .. كانت أشبه بغوريلا تعلقت بشاب رفيع .. هزيل .. أصفر الوجه .. ممزق القميص .. صعد أحد رجال الشرطة .. وجرهما الى داخل القسم ..

— تعالى هنا ياست .. اجلس ياعم أحمد اطلب الاسعاف .

— حالا .. ياحضرة الضابط ..

— الدم .. آى .. المجرم .. قليل الأدب ..

— لا داعى للصراخ .. الاسعاف فى الطريق ..

— أين المتهم ؟

— الفستان كله دم .. والشنطة .. المجرم .. ابن ..

— لا داعي للكلام .. والصراخ .. اجلسى .. تعالى هنا .. اجلسى

— عضتنى ياحضرة الضابط ..

— الاسعاف ؟ فيه حالة .. !

— لا حول ولا قوة الا بالله .. شبان فاسدين ..
آخر زمن .. سايب اليهود .. و يقرص فى الستات ..
شبان ورق ..

— مسكين الشباب والله .. انها غولة ..

— صوتها .. سامع .. سر ينة بوليس نجدة ..

— وانت ياأستاذ أى خدمة .. ؟

— أنا كنت فى الأتوبيس ياحضرة الضابط .

— شاهد .. ؟

— طبعا ..

— قلت لك أكثر من مرة لا داعي للصراخ .. ياست .. الى أين .. ؟

— دورة المياه .. لانظف نفسى ..

— من هناك ..

— يا اسعاف .. فيه حالة مستعجلة ..

— لا داعي للاسعاف ..

— كيف يا ست .. الدم سايح عليك .. لابد من الاسعاف ..

— عضتني يا حضرة الضابط .. كل الحكاية .. الأتوبيس فرمل .. ايدى لمست كتفها

— كداب .. يا مجرم ..

— اسكتي يا ست .. لا دعاى للصراخ ..

— أنا كنت فى الأتوبيس .. والشاب برىء

— انت مين ؟ كل الركاب مشوا .. وانت بقيت .. انت كذاب

— باشهد بالحق يا حضرة الضابط .. أنا لا أعرفها ولا أعرف الشاب ..

— لا فائدة معه يا ست .. قلت لك .. لا كلام .. الا فى المحضر

— محصر .. لابد من النيابة ..

— يظهر أن الشاب مسكين ..

— لو كانت محترمة .. لما فعلت كل هذا .. وبهدلت نفسها

— ستذهبان الى النيابة ..

— أنا لا أذهب الى النيابة .. انه يذهب لوحده ..

— كيف ؟

— انه اعتدى علىّ ..

— انت وهو.. ستذهبان الى النيابة للتحقيق ..

— لن أذهب الى النيابة .. انه اعتدى علىّ بالضرب .. الدم .. الدم ..

— انت دخلت القسم .. لابد أن نقوم باجراءاتنا ..

— كنت ذاهبا للدكتور .. اننى مريض .. هذه هى الشهادة .. انها عضتنى ..

— لابد من حقنة .. ضد التسمم ..

— كداب .. عض نفسه ..

— ولا حول ولا قوة الا بالله .. مسكين الشاب ...

— الاسعاف .. وصلت ..

— أين الحالة ..

— أنا تأخرت عن العمل .. فيه شهادة .. أقول كلمتين — شهادة أى شهادة انت تعرف المجرم ..

— سامع ياحضرة الضابط ..

— قلت لك ياست .. لا داعى للكلام .. والصراخ ..

— ياعسكرى ..

— افندم حضرة الضابط ..

— اذهب .. بالست والشاب .. والاستاذ .. للمعاون

— حاضر يا أفندم ..

— بعد المحضر .. يذهبون للنيابة ..

— لن أذهب الى النيابة .. انه اعتدى عليّ ..

— اذهبى يا ست .. أمامنا أحوال أخرى ..

— وأنت يا أستاذ ؟ ..

— انسرقت محفظتى ..

وتحركت المرأة .. وخلفها الشاب .. والشرطى الى حجرة أخرى .. وصوتها يغطى على كل الضوضاء ..

● عارية من الحب ●

●● متى تصبح المدينة
عارية من الحب ..؟
وماذا يفعل الذين يعيشون
فى أعماقها !!



الديك :

يصيح بأعلى صوته .. فى الحديقة الصغيرة . والضباب يرمى بثقله على زجاج النافذة التى وقف خلفها أسامه . وقد أرتدى ملابسه استعدادا للسفر. كان واقفا يرتشف من فنجان الشاى الساخن رشفة صغيرة ويحاول أن يعثر على الديك من خلف زجاج نافذة غرفة نومه ، ولكن الضباب غطى الزجاج برذاذه .

مازال الديك يصيح . ويمزق بصياحه سكون الصباح . الكل نيام . وأسامه الشاب الذى جاوز الثلاثين من عمره بعامين ، يقف خلف النافذة ، يستجمع خيوط أفكاره .. لما سيفعله فى هذا اليوم عندما يغادر الاسكندرية الى القاهرة .

والتفت خلفه . زوجته مازالت نائمة فى السرير تحتضن ابنتها الوليدة وفى السرير الصغير ينام ابنه الصغير الذى لم يتجاوز الخامسة . الديك مازال يمرق هدوء الصباح . نظر أسامه الى ساعته . العقارب تقترب من السادسة . مديده ليتناول قطعة من البسكويت ولكن صراخ ابنته الصغيرة ، جعله يتوقف . ونظر اليها وهى نائمة ، ورأى زوجته وهى تمد يدها لتحتضن الصغيرة التى واصلت الصراخ ، ونظرت اليه ، وقالت بصوت واهن .

— الساعة .. ؟

— السادسة

— أنك تأخرت .. سيفوتك « الديزل » بعد نصف ساعة .

— سأخرج فورا ..

— انتبه وانت فى القاهرة .. وكل أى شىء .. لا تنس نفسك

— وهو كذلك ..

وارتفعت القطرة الاخيرة من فنجان الشاى ، والتقط حقيبة السفر وأغلق باب الخروج خلفه . فأحس ببرودة الجو فرفع ياقة معطفه ، وسار بخطى مسرعة فى الشارع الطويل باحثا عن سيارة أجرة ليلحق بالديزل .

.. وغاص أسامه فى كرسيه بالقطار، بعد أن خلع معطفه ، وأحس بدفء التكييف ، فأغمض عينيه بضع لحظات . ثم اعتدل فى جلسته وبدأ يتصفح الجريدة ، فلطمته العناوين الصغيرة فى الصفحة الأولى . وبدأت نظراته تقفز فوق الكلمات الملتهبة ..

— سكان القدس يتحدون قرارات اسرائيل بتهويد المدينة .

واشعلت الكلمات بركان الغضب فى أعماق نفسيته .

وانطلقت صفارة القطار، المنطلق كالصاروخ ، الكل فى عربة القطار مضطجعون وقد لصقوا فوق وجوههم ، الصحف والتكييف يلطف أعصابهم .. بينما ظلت نظرات أسامه تتراقص مرة أخرى فوق كلمات الصفحة الأولى فى الجريدة .

— مسئول اسرائيلى يصرح بأن اسرائيل لن تتخلى عن الجولان

والقدس والضفة الغربية حتى فى حالة التوصل الى حل سلمى .

أحس بالضيق مرة أخرى ، فطوى الجريدة وقذف بها على الكرسى ، ونهض ذاهبا الى البوفيه ليتناول فنجان قهوة ، وجلس فوق الكرسى أمام البوفيه ، ونظر حوله فالتقت نظراته بصديق قديم ، وتجاذبا الحديث والكلمات ، والتحايا التقليدية ، والسؤال عن الصحة . والعافية .. فهى عادة المصريين لقتل الوقت ، المنعدم لديهم .

وقال أسامه .

— ألم تتزوج بعد

— أنا مستريح الان .. ولكننى غير مستريح ..

— كيف ؟

— أحاول أن أخطب فتاة أحبها منذ ثلاث سنين .

— وبعد

— لا أستطيع أن أخطبها .

— لماذا ؟

— أين اللحلوح يا صحبى ؟

— لحلوح ! ..

— الفلوس .. الوقت صعب .. لا عليك .. كيف حالك فى الجريدة .

— يعنى .. !

— لقد وصلت .. وأصبحت صحفيا ناجحا ..

— أين هو النجاح ؟

— كل يوم أقرأ اسمك فى الجريدة .. ولك نشاط كبير فى الإسكندرية .

— لا قيمة له .. كل شىء فى القاهرة .. أما الاسكندرية فهى جميلة للتحف .. وقبر الاسكندر .

— لقد تزوجت ولك أولاد .. وأنا لم أستطيع

— وهل هذا عمل مجيد .. لابد أن تتحرك لهدف أكبر

— هدفى هو الزواج من فتاتى ..

— معك حق .. هدفك الان .. هو هذا

— كن فى الاسكندرية .. أحسن .. القاهرة غابة .. لا يعرف فيها الأخ أخاه .. ومن النادر أن تجد فيها صديقا ..

— ولو .. لقد قررت الرحيل الى القاهرة .. لأجد موقعا اتحرك فيه بقدراتى ..

— وهل سيتركك التافهون هناك ..

— ينبغى أن أحاول .. المهم أن أخطو خطوة ..

— صحيح أن كل شىء مركز فى القاهرة .. كل ما عداها أشباح .. ولكن أحاول أن أفعل .. كثيرا هناك .

— أتمنى أن توفق .. ولكن مبادءك .. وقيمك . لن تجعلك تخطو خطوة فى القاهرة .. أمام العتاولة ..

— لابد من المحاولة ..

— الى أين أنت ذاهب ؟

— الى دمنهور .. حيث أقوم بالتدريس .. وتضيع ساعات من عمرى فى القطار .. والنتيجة .. ملاليم .. !

— واللحلوح لا أعثر عليه .

— لماذا لا تسافر الى الخارج .. أخى الصغير هاجر الى الخارج منذ عام وحصل على كل شىء ..

— ماذا يعمل ؟

— أرقام .. واحد فى ألف .. ميزانية .. رصيد .. أرباح .. حسابات .. هكذا .. ولكنه لم يعثر على فتاته ..

— لا أحد مستريح ..

— لاننا من طين ..

— نعم ..

— أقصد لاننا على هذه الكرة .. نتحرك فى دائرة ..

— كرة .. مصطبة .. أى حاجة .. المهم أن أجد الفلوس وأحقق كل ما أريد .

— قد تكون على حق فى هذه اللحظة التى اختلت فيها معايير الحقيقة .

— دعنى من المعايير.. أن أى راقصة .. تستطيع أن تحصل على ماأشقى به طول عمرى .. فى شهر واحد ..
يا صديقى .. لا داعى لهذا الكلام الان .. أعطينى سيجارة ..

وقدم له أسامه علبة اللفائف وراح يحتسى فنجان القهوة ببصره عبر « نافذة » الديزل المنطلق ، فبدت صورة الطبيعة مهزوزة .. باهتة .. وصرخ « الديزل » ثم وقف فى دمنهور ، وودع أسامه صديقه .. على أن يراه اذا سنحت الفرصة فى الاسكندرية .

ثم واصل (الديزل) انطلاقه حتى وصل الى محطة ونزل أسامه .. وبصق على الأرض كما هى عادته كلما وطأت قدماه أرض القاهرة ، وأحس بفوره نشاط الى مكتب رئيس مجلس الادارة .. ودخل غرفة السكرتارية .. كانت هناك فتاه ، بيضاء مليئة الوجه والقوام . وقدم لها نفسه .
وقالت له

— الأستاذ مشغول .. أنتظر ..

وجلس أسامه يتصفح بعينيه الحجرة الصغيرة ، والسكرتيرة البيضاء وتقوم بتنسيق مجموعات من الصحف الأجنبية . وطارت ورقة من فوق المكتب عندما حاولت أن تضع الصحف فى مكانها ، وخرجت من خلف المكتب الذى يخفى نصفها الأسفل .. كانت مرتدية « بلوزة » بيضاء شفافة وقد برز منها

بعنف ثدياه ممتلئتان ، و بدت ساقاها حتى أعلى فخذيها عاريتين ، وانحنت لتلتقط الورقة من فوق الأرض ، فتعرت أكثر ، ونظر أسامه الى الجريدة — الملقاة على مائدة صغيرة كانت أمامه . فلمح صورة فتاة فدائية اعتقلتها السلطات الاسرائيلية كانت مرتدية ملابس الميدان ، وقال أسامه للسكرتيرة البيضاء المكتزة شبه العارية :

— ما رأيك فى هذه الفتاة الفدائية ؟

— من ناحية ؟

— أى ناحية فى رأيك ..

وسكتت بينما ظلت ترتب الصحف المبعثرة ، ومرة ثانية ، سقطت ورقة صغيرة على الأرض ، فنهضت ، وانحنت لتلتقط الورقة ، وتتظاهر بالضيق . وقال لها أسامه وهو مازال ينظر الى صورة الفتاة الفدائية .

— منظر ملابس الميدان .. والمرأة ترتديها جميل .. ما رأيك ؟

ودق جرس التليفون ، فالتقطت السماعة ، وردت . ثم قامت وفتحت باب رئيس مجلس الادارة ، ودخلت .

و بعد لحظات .. خرجت .. وقالت لأسامة :

— الأستاذ مشغول .. وعنده اجتماع بعد لحظة .. اذا كانت لديك .. وقطع أسامه كلامها ، وقال :

— لا شيء عندى .. كنت أريد أن أتحدث معه فى أشياء تهمه .. اذا كان لديه وقت فى المساء .. ربما أمر عليه .. شكرا

وشيعته السكرتيرة البيضاء المليئة .. شبه العارية . بنظراتها حتى اختفى خلف الباب، فقد أحست أن كلماته القليلة قد عرت عريها .

ووقف أسامه فى الردهة الدائرية لحظة ، ونظر الى ساعته ، ان الوقت يمر سريعا ، وهو لم يلتق بعد بالذين يريد أن يتباحث معهم فى المهمة التى جاء من أجلها . وتذكر صديقه رئيس التحرير فذهب اليه . كان مشغولا فى حديث تليفونى . وشغل أسامه نفسه بتصفح بعض المجلات الموجودة أمامه على المائدة الصغيرة بينما أخترق الحوار التليفونى أذنيه .

— لا أفهم ..

— ....

— مسكينة أنت .. فهمت .. أنه لا يقوم بمهمته ..

— ....

— يا كلبه

— ....

— سأراك .. سأتحدث اليك بعد ذلك .. أنت مشغولة على ما أعتقد .. سأكلمك بعد قليل .

واغلق التليفون .. والتفت الى أسامه قائلا :

— أهلا .. كيف الأحوال ؟

— الى أسوأ ..

— وماذا تفعل الان ؟

— أحاول أن أنتقل الى القاهرة

— لماذا .. أنت فى الاسكندرية .. مرموق .. وبعيدا عن الدوامات وعن التفاهات الموجودة بالقاهرة ..

— وماذا يوجد فى الاسكندرية أو غيرها .. خارج القاهرة .. لا شىء ..

— ولكنك ستتعب كثيرا اذا جئت .

— التعب .. أفضل من راحة الأموات .. ولا أحتمل أن أموت حيا ..

— أرجو أن توفق ..

— شكرا ..

وخرج أسامه يدفعه الضيق الى الاصرار على تحقيق هدفه .. وذهب ليستريح عند صديقه الناقد الكبير، فلم يجده .. وعرف أن جنازة والدته ستخرج بعد ساعة ورأى أن يشارك صديقه الناقد الكبير الأحزان ، لعله أنه كان يحب أمه حب عبادة . فغرس نفسه مع بعض الزملاء فى سيارة أجرة ، ليشتركوا فى تشييع الجنازة ومر التاكسى بميدان التحرير وشارع القصر العينى ، ثم المبتديان .. وأقرب من ميدان السيدة زينب . وقال أحد الزملاء للسائق :

— من الزقاق
وأوقف السائق السيارة ، وقال :
السيارة لا تدخل هذه الأزقة .. آسف ..
وقال الزميل :
ممكن ندخل من الشارع الخلفى
ودارت السيارة لتبحث عن الشارع ، وأخيرا عثرنا عليه ، وظلت السيارة تتملص من حارة إلى زقاق ، وتنغرس فى حفر ، ثم تكتسح برك المجارى التى فرشت الأزقة . وأوقف السائق السيارة وقال :

— آسف .. لن تتحرك السيارة اكثر من ذلك .

— وقال أحد الزملاء

— شكرا .. لقد وصلنا فعلا ..

وأسرع أسامة وزملاؤه ليلحقوا بالجنازة التى بدأت تتحرك ، وصراخ النسوة والعويل .. والكلمات الأليمة .. تستدر الدموع . وكانت المسيرة تتلوى لتتفادى البرك والحفرة والتف عدد من الاصدقاء حول الناقد الكبير يواسونه . كانت الدموع تنهمر من عينيه ، وهو يحاول جاهدا أن يكتم ألمه . بينما المسيرة تواصل التقدم . ولاحظ اسامه شيئا غريبا استرعى انتباهه . مجموعات من المنازل غريبة التكوين ، والتشكيل ذات ابواب

حديدية ، وفناء واسع .. ووسط هذه التشكيلة العجيبة من البيوت .. ذات الفناء الواسع ، رأى أسامة قهوة غريبة ، وقد جلس فيها بعض النسوة والشيوخ فوق التراب يحتسون الشاى ، و يدخنون الجوزة ، و يتوسط القهوة شاهد لأحد الموتى ، وقد رصت فوقه بعض الفناجين والجوزة ، والفحم .. وقال أسامة لزميله وهما يسيران فى الجنازة :

— أين نحن ؟

— فى المدافن .

— كيف دخلنا المدافن ؟ ، لاباب .. لاسور ..

— نحن نسير بين القبور ..

— وهذه البيوت الغريبة .. وهؤلاء الناس .. والأطفال .. والقهوة ..

— إن هذه البيوت هى مدافن .. يسكنها الناس ..

— والشاهد .. ؟

— حوله صاحب القهوة الى ديكور طبيعى ..

— حتى الأموات تزاحم الأحياء

— ومن قال إن هؤلاء الناس أحياء ..

— لأنهم يأكلون ..

— كالديدان .. أو الحشرات ..

— ومع ذلك فهم أحياء .. ولهم بطاقات شخصية .. و يرتزقون من الموتى ..

- من الموتى ؟

— هؤلاء الناس .. تجد فيهم الحانوتى ، والمقرىء .. والمغسل وكل ما يلزم الموتى من خدمات ..

— إنهم يعيشون أسعد الناس .

— أنت تخرف

— بل هى الحقيقة .. لأنهم لايفكرون الا فى الموتى .. وأرزاق الموتى ولا يهمهم ماحدث فى هذا العالم .. فى المدينة الكبيرة المكتنزة حتى لو انخسفت المدينة تحت قنابل الاعداء .. فلن ينخسفوا .. أكثر مما هم فيه

— هيا .. هيا .. نقدم العزاء .

ووقف أسامة فى الصف الطويل ، يقدم العزاء الى أقارب المرحومة ، عبارة عن كلمات مختنقة .. لا ترتح ولا تتعب ، ولكن يجب ترددها . وتقدم الى الناقد الكبير .. وانفرجت شفتاه .. وتاهت الكلمات منه ..

وسار .. والدموع محبسة فى عينيه .. الى أن وجد نفسه .. فى شارع طويل .. تتحرك فيه الترام الكئيبة المنظر ..

والناس وقد غسلت وجوههم الأتربة .. ولمح سيارة أجرة .. فجرى اليها وانحشر فيها صارخا :

الزمالك ..

وانطلقت سيارة الأجرة تتلوى بين باقى السيارات الكثيفة حتى وصلت الى الشارع الذى كان يريده أسامه وتعلق بصره بأرقام المنازل .. لم تكن فى الحقيقة منازل .. وانما كانت معظمها فيللات .. وسفارات .. ومراكز لهيئات أجنبية وأخيرا عثر على العمارة واستقبله صديقه المطرب فرحا قائلا :

— جئت فى وقتك .. أهلا .. أهلا .. أين أنت ؟

— فى هذه الدوامة ..

— أهلا .. عندنا بعض الأصدقاء .. و بعض الزملاء من الصحفيين .. ستسمع الى أغنيتى الجديدة .. تعالى وتعارف أسامة عليهم .. كانوا متناثرين فى الصالون . أثنان يحلان الكلمات المتقاطعة ، آخر يستمع الى اسطوانة المطرب الصديق ، واثنان آخران يتناقشان فى الموقف السياسى .. وآخر جلس على الأرض بجوار مائدة صغيرة ، يلتهم ماعليها من مأكولات و يدندن بمقاطع أغنيات متناثرة .. وكان يلتفت الى زميله وهو يلوك الطعام فى فمه الممتلىء .. و يقول لهما :

— أمتع مما فى الدنيا راحة البال .. والطعام اللذيذ .. مالكم والسياسة ونحن فى هذا الشمل الجميل ..

— دنياك الطعام ..

— هذا كل ما أستطيعه الان .

وطرقت ضحكات الاخرين .. وضحك الباقون بالعدوى . وأمسك المطرب بعوده يدندن عليه بأغنيات ... لامعنى لها ، وتحولت أشكالهم الى شبه فقاعات كبيرة فى نظر أسامه ، فوضع رأسه بين كفيه شاردا بأفكاره ونظراته والكل عنه لاهين بضحكاتهم وقفشاتهم .. ولا أحد منهم يدرى بالاخر.

لم يشعر بالوقت الذى مر بسرعة ، ونهض كمن لدغه عقرب . تذكر موعد سفره الى الاسكندرية . وقال له صديقه المطرب ..

— هكذا بسرعة .. ليتك كنت معنا .

— سأكون هنا ..

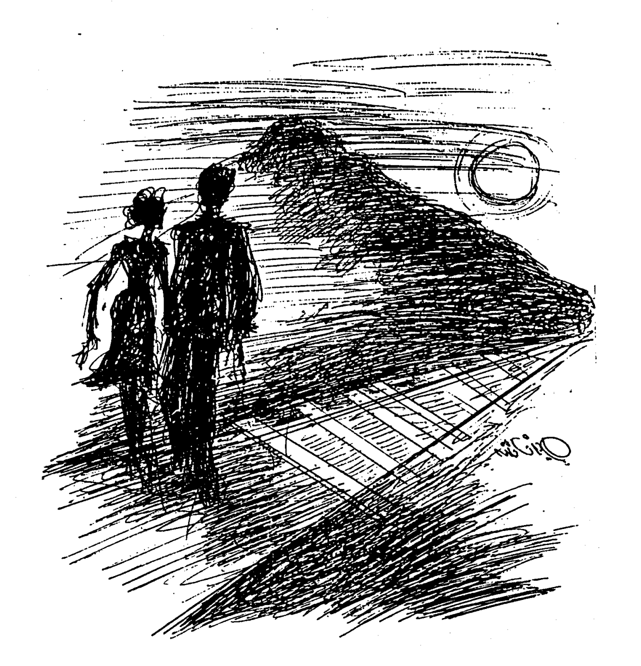
— ستكمل الشلة .

— سأفكر .. وسأعود .

وخرج ، ورأسه تمور بأفكار كثيرة . وسار فى الطريق بخطوات هادئة .. ثابتة .. بطيئة . والمدينة الباردة الخاوية .. الا من بعض المارة .. تحاول أن تبتلعه .

● المزلقان ●

●● ما قيمة الملايين مع
التعاسة !!!
المهم أن نكون قانعين



وصعدت السيارة بأقصى سرعتها قمة المقطم ، ومرت بجامع الجيوشى ، وانعطفت يسارا صاعدة الطريق الضيق ، بين الصخور ، وقالت صابرين .. وهى تحتضن نادر بين جفنيها ، فقد عاد من سفرته القصيرة خارج القاهرة :

— هدىء السرعة .. من فضلك .

— وكيف نلحق بقرص الشمس .. قبل أن يختفى ؟

— يكفى أنك بجانبى .

— وهو كذلك ؟

وانعطفت السيارة بين الممرات الى أن وصلت الى مكانها المعهود .. فى نصف الدائرة الصغيرة .. وبدت القاهرة كلها تحت أعينها . القلعة جامع ابن طولون والسيدة نفيسة والامام الشافعى .. وعلى مرمى البصر .. الأهرامات .. وعين الصيرة .. والبرج وبرج التليفزيون والسلطان حسن والفسطاط مشهد بانورامى .. يسحر الأفئدة العاشقة .. وعلى طول طريق كورنيش المقطم وقفت مجموعات من السيارات .. تحمل داخلها العشاق والمحبين .. والهاربين من عيون الفضوليين .. وبعض العابثين العابثات أيضا .

وخرج نادر من السيارة .. وفتح الشنطة الخلفية ... ليخرج الطعام .. والشراب .. قطع من الجبن .. و (ترمس) شاى .. وعلب من عصير الجوافة والمانجو .. والخبز .. وعلبة صغيرة بها قطع من اللحم .. والبطاطس .. وأغلق شنطة السيارة .. قائلا :

— هيا — نعد طعام الفطار.. فالشمس على وشك الغروب .

— لست جائعة .

— ينبغي للصائمين .. أن يجلسوا الى الطعام .. قبل الافطار.

— أنه أروع أفطار.

— سيحقق الله أمنياتنا قريبا .. ونكون فى عشنا .

— أن شاء الله .

وجلس نادر فوق السور الحديدى ، يتأمل بانوراما الغروب .. بينما انهمكت صابرين فى اعداد بعض الساندوتشات الصغيرة .. ثم أقتربت .

من نادر.. لتستمتع بقرص .. الشمس .. وهو يختفى خلف السحب المتكونة من دخان مصانع الطوب القريبة من الفسطاط .. وتحت سفح المقطم .. كانت الحركة الصاخبة المنبعثة من « البولدوزرات » التى تمهد الأرض .. لاقامة مبان جديدة ..

وقال نادر :

— أخيرا . بدأوا يفكرون فى الصحراء .. والصخر.

— ومن الذى سوف يسكن فى هذا المكان ؟

— انظرى .. هنا .. وهناك .. ملايين الشقق .. بين الأموات .. ومع ذلك لانجد شقة .

— فلنحمد الله .

— اننى أحمده على كل شىء .

— أن كل مشروع فيه الخير للكثيرين . أنظر أن العمال بدأوا ينصرفون .. انتهى عملهم الشاق ..

— أنهم يعرقون و يغسلون الرمال بعرقهم .. وآخرون يسلبون هذا العرق ويحولونه الى ملايين .

— ما قيمة الملايين مع التعاسة !! .. المهم أن نكون قانعين .

— معك حق ، وليس كل الحق ! هيا بنا نفطر ..

— خذ نصف هذا الساندوتش .

— فلنبدأ بعصير الجوافة .

وأمسك نادر بعلبة العصير وفتحها ، وقدمها لصابرين وتمتم : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، فأغفر لى ، أنه لا يغفر الذنوب الا أنت » .

وارتشفت صابرين بعض العصير ثم قدمت الباقى لنادر .

— لن يتصور الذين حولنا اننا كنا صائمين !

— لا شأن لنا بهم .

كانا يلتقطان بعض الطعام كعصفورين طليقين فوق القمة ، وتلألأت القاهرة بالأنوار فى كل مكان .. وكانت لوحة ساحرة موشاة بلؤلؤ من النور .

وضحكا واقتربت صابرين من الطعام ، وأخذت ساندوتشا آخر .. وقسمته ، وناولت نادرا جزءا منه .. وسقطت .. قطعة من الخبز فوق الرمال .. لكن صابرين التصقت به صائحة :

— الكلب قادم ..

— تخافى وأنت معى ..

— ولكنه قادم !

— أنه وديع ، وربما جائع .. لنطعمه .

— اننى خائفة .. سأدخل السيارة .

— كما تريدين .

— سنتناول الشاى .

— هل تشربين الشاى بمفردك ؟

— لا أستطيع .

ودار نادر حول السيارة ، وأطعم الكلب الضال ودخل السيارة ، وفتح الراديو ليستمعا الى رسول قلبيهما .. فى أية أغنية تترجم أحاسيسهما فى تلك اللحظة ، ولكن صوت صراخ الأطفال الذين كانوا مع أصحاب السيارة القريبة منهما قد شرخ صمت الهدوء العجيب .. وعلا على ترنيمات اللحن الذى بدأ يدغدغ أحاسيسهما المتلهفة كل الى الاخر. واقترب منهما الرجل صاحب الجلباب المتسخ .. برمال المقطم .. والشعر المنفوش .. وكأنه من

أصحاب أهل الكهف .. وأعطاه نادر بعض السجائر وقال هامسا لصابرين :

— لقد جاء روبنسون كروزو المقطم .. وسيمكث مع الناس .. ما رأيك فى جولة بالأقدام ، والقمر بدأ يتسلق سحب الأفق ؟

وراحا يتجولان الهوينى وقد أحاطت بذراعها وسط نادر وكأنها تخشى أن يطير منها فى هذا الفضاء .. والسكون . وألقت برأسها فوق صدره .. وراحت تدندن بمقاطع أغنية حبيبة الى قلبها .. وكانت دقات خطواتها فوق الشارع الطويل وهى النغم الوحيد فى هذا السكون الذى يحتل جزءا منه مجموعة من السيارات المتراصة وقد التصق داخلها رجل وامرأة .. يتراقصان بالهمسات .. والكلمات .. وأحس نادر برجفة تعتاب صابرين .

— ما هذا ؟

— لا شىء .. لقد اشتدت الريح ..

— فعلا .

وخلع نادر السويتر الذى كان يرتدى وأحاط صابرين بذراعية وكأنه يحتضنها .. وهى منكمشة داخل صدره .

— رفقا بالناس يا نادر ..

— أين هم الناس .. لقد حشرتهم الرياح داخل السيارة .
وقبلها فى وجنتها ..

— نادر لاتكن مجنونا ..

— ولماذا لا أكون مجنونا ..

— هيا بنا للسيارة ..

— بيتنا المتنقل الحديث ..

— يا قلبى ..

— سبقتنى فى الكلام .. ولكن هل رأيت تلك العمارات ... العمارات .. العمارات .. وهذه الجحور المؤلفة بالالاف ومع ذلك يقولون لنا كل يوم .. لامكان .... لاشقة . لاجحر .. لا .. لا .. لماذا لايقيم معسكرات من الخيم .. لأمثالنا .. لتكون بيوتا لنا .. نمارس فيها حبنا الصادق . بينما الاخرون .. يمارسون لعبة الثراء .. واقتناء الأرانب .

— أرانب ؟

— نعم ياحبى .. أرنب فى اقتصاد لعبة الثراء يساوى مليونا من الجنيهات .. من ذبيحة قلوب العاشقين الملايين من أمثالنا .

— لقد جئنا الى هنا لنستريح قليلا من كثرة البحث عن شقة .. لاداعى للحديث الان .. دعنا نتأمل روعة الله .. فى القمر .. فى هذا هدوء .

— أمنيتى أن أجد جحرا فى المقطم .. أنعم فيه معك بهدء

الهدوء .. بعيداً عن طاحونة قلب القاهرة .. التى طحنت كل ما هو جميل فى نفوسنا ..

— قل .. يا رب ..

— لا أستطيع الا أن أقول يا رب ..

وسمعا آذان العشاء .. يحتضن الهدوء .. وتنقله الرياح الى أذن آلاف .. الالاف .

وقال نادر:

— هيا بنا للعودة .

ولم تجب صابرين ، فهى تود ألا تترك المكان .. وأن يظلا هكذا مزروعين كشجرتين باسقتين رمزا للحب فوق المقطم .. يظللان العشاق وقت الظهيرة .. فقد زحف اليأس الى قلبها فى لحظات شك من عدم العثور على شقة حبها .. ولسعتها ألسنة الأهل والأقارب كلدغات العقارب لأن نادرا لم يعثر بعد على عشها الوردى .. فقد طالت بها الايام .. لكنها كانت أياما .. حفرت ذكرياتها الحلوة فى قلبيها أجمل سطور قصة حب دافئة .. أمام أعاصير الحياة المادية العاتية .. وسارت صابرين .. وهى لا تدرى كيف تسير، ونادر يكاد يعتصرها فى حضنه .. وقد أحست بالدفء كله من حنان قلبه يغمرها ..

وانطلقا بالسيارة عائدين ..فى نفس الطريق الحلزونى ..

والظلام يلفها من كل جانب .. والسيارة تسير ببطء منحدرة الى أسفل المقطم ، وهى تهمس فى أذنه .. بعد أن دغدغ الشوق اليه كل أحاسيسها .. وقبلته قبلة خاطفة فى أذنه .. قائلة :

— حقيقى .. ليس لى هذه الدنيا .. الأأنت .

— أنا بابا .. أنا ماما .. أنا أحبك .. أنا فارسك .

— يا فارسنى .

اقتربت السيارة من مزلقان شارع مجرى العيون . وكانت عشرات السيارات واقفة فى الطريق لاتتحرك بسبب أعمال الحفر لاقامة كوبرى أحد ضباط المرور .. والسيارات واقفة لاتتحرك .. الا ببطء .. السلحفاة وقال نادر :

— لابد أن يكون فى كل سيارة مخدة للنوم ..

— لاتتسرع .

— أن هذا البطء يفقد الانسان قدرته على الصبر .

— أن هذا المزلقان خطر .. القطار يأتى مسرعا .

— وأين هو القطار .. وجرس التنبيه لايدق .. فلماذا الوقوف .. أن السيارات تكاد تحتك ببعضها .

— الصبر .

— سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ..

وتحركت السيارات ببطء السلحفاة مرة أخرى حتى أصبحت سيارة قائد المرور بالقرب من شريط القطار.. وسمع نادر قائد المرور وهو يستدعى الشرطى المكلف بحراسة المزلقان و يقول له :

— لماذا تتعطل السيارات .

وقال الشرطى بعد أن أدى التحية للضابط ..

— السيارة الموجودة بعد المزلقان .. قد غرست فى المياه المحيطة بالكوبرى .

— حاول أن تساعدهم .

— حاضر يافندم .

وذهب الشرطى .. الى السيارة المتعطلة .. ليساعد ركابها فى دفعها الى الامام . وتحركت سيارة قائد المرور الى الامام .. عابرة شريط القطار.. وتحرك معه نادر بسيارته وصاحت صابرين :

— لاتتحرك يانادر.. إن القطار قادم ..

— لاشىء قادم .

— أن جرس التنبيه يدق .

— ولكن سيارة قائد المرور تحركت وسأقف بجانبها ..

— أرجوك أن تسمع الكلام .

وتحرك نادر بسيارته .. ولكن سيارة قائد المرور سدت أمامه

الطريق الضيق .. ووجد نفسه واقفا على شريط القطار .. وجاء الشرطى صائحا ..

— ارجع الى الوراء فورا ..

وعاد نادر بالسيارة الى الوراء .. ولكن سيارة خلفه سدت المكان .. فوجد نفسه فوق شريط القطار .. وصاحت فيه صابرين .

— قلت لك لاتتحرك .. ولاتسمع الكلام ..

— ماذا أفعل .. أن السيارة التى خلفي لاتتحرك ..

— أنك تنتحر .. سأغادر السيارة .

وفتحت باب السيارة وصاح الشرطى .. والذعر فى عينيه .

— قلت لك أرجع الى الخلف فورا .. القطار قادم ..

— لامكان خلفى .

— تقدم الى الامام بسرعة .. بسرعة .. القطار قادم وتحرك نادر بالسيارة قليلا الى الأمام ..

— ياأستاذ .. ياأستاذ أنك مازلت فوق الشريط .. القطار قادم ..

شل تفكير نادر .. فلا يستطيع أن يتحرك الى الخلف .

والمكان أمامه ضيق .. وسيارة قائد المرور قد سدت الطريق أمامه .. وجزء من السيارة مازال فوق الشريط .. والقطار يعوى بصفارته .. قادما بأقصى سرعته والموت يدور بين عجلاته .. وأشعة الكشاف الامامى كأنها عين مارد غاضب .. ونادر لا يلتفت يمينا ولا يسارا .. ولا يدرى بما يحدث ..

وفى هذه اللحظة .. فتحت صابرين باب السيارة بسرعة وقفزت خارجها .. هاربة من الموت .. والشرطى يضرب بيديه مقدمة السيارة .. صارخا .. القطار .. القطار .. تحرك يا أخى .. تحرك الى الخلف .. و يتحرك نادر بالسيارة الى الخلف وهو فوق القضبان . و يصرخ الشرطى .. ياستار .. يالطيف .. تحرك الى الامام .. الى الأمام .. سيفرمك القطار .. ونادر تحجرت عيناه .. وتقلصت يداه فوق عجلة القيادة .. والسيارات أمامه تسد الطريق . ورأى سيارة قائد المرور تتحرك قليلا .. فاندفع نحوها .. واصطدم بمؤخرتها .. و بالحاجز الخشبى المقام حول الكوبرى .

وغطى ضجيج القطار ، وعويل صفارته .. والموت الذى يدور فى عجلاته .. على صرخات الناس الذين وقفوا كالأصنام يشاهدون ما يحدث .. وأغمض الشرطى عينيه بيديه .

لحظة رهيبة مرت .. بمرور القطار. ونادر فى السيارة ، وقد تجمدت الدماء فى عروقه .. ومر القطار وليس بينه و بين مؤخر السيارة سوى مسافة شبر واحد .

وهجم شاب من الواقفين على نادر يقبله .. قائلا :

— كتب لك عمر .. يابيه .. أى خدمة .. لو كنت مكانك .. لبصقت على من كانت معك فى السيارة .. وتركتك .

— شكرا .. شكرا .

وتحركت السيارة فوق المزلقان المغطى بالمياه .. وتاه نادر سيارته .. وسط ضجيج الناس .. وعو يل صفارات السيارات .

● المفتاح ●

●● وكان اخر شىء أغلق
جفنيه عليه ..
صورة المفتاح ..



نهض عبده على صوت رنين الجرس ، فأخذ يصب لعناته على ذلك الجرس لأنه يبدل سعادته شقاء بدقاته الرنانة . كان عبده يعرف تماما أن دقات الجرس معناها عدم الراحة والهدوء ، وهو يعلم أيضا أن استيقاظ سيدته العجوز انما هو افتتاح لبرنامج المتاعب والمشقات . ونهض متثاقلا يتثاءب حينا و يتمطى حينا آخر فتكرار الأعمال التى يؤديها تبعث فى نفسه الضيق والملل .
و بدأ عبده يجر رجليه جرا ، ويحاول فتح عينيه ، ثم اقترب من حجرة سيدته ، فطرقها وسمع صوتها المعهود يأذن له بالدخول ، ففتح الباب ووقف عنده لحظة . كانت كما هى العادة جالسة فى فراشها بشعرها المشعث و وجهها الأبيض الناصع ، فابتدرها عبده بقوله المعتاد فى هذا الوقت :

— صباح الخير ياستى ..

فقالت السيدة وهى ممسكة بالمرأة :

— صباح الخير .. هات الصينية .

وذهب عبده لاحضار الصينية وهو كالآلة الصماء ، ففى صباح كل يوم يقوم بتحضير الصينية لتغسل سيدته وجهها وكأنها تزيل من هذا الوجه كل طيبة وكل رحمة ، فاذا بوجهها بعد الغسيل يقطر عبوسا وتجهما ، وأحضر عبده الصينية لسيدته ، وعاد الى ركنه المعهود ، فى المطبخ . بينما طفقت السيدة تغسل وجهها .
و بعد أن انتهت من غسله رفعت المرآة ثانية لاصلاح شأنها ، فانعكست صورتها على المرآة .. فبدت شاحبة اللون ، ذات شعر

أبيض كأنه أسلاك من الفضة .. ولم يكن فى وجهها شىء يتميز بالوضوح ولفت النظر سوى أنفها المقوس كمنقار الحدأة الا قليلا ، وذلك الفم الدقيق الصغير .. وأحاطت عينيها هالة من السواد حتى ليخال المرء أنها كانت تلاكم بالأمس القريب . كانت هذه هى صورتها التى انعكست فى المرآة ، الا أن الصورة لم تستطع أن تكشف عما تكنه نفسية هذه السيدة من احساسات ومشاعر تجاه الحياة والناس .

كانت هذه السيدة قليلة الأصدقاء والمعارف لاعتقادها بأن الاصدقاء هم باب الشقاء . فهى أن زارت أحدى صديقاتها ، فلابد لهذه الصديقة أن ترد الزيارة . وهذا بالطبع سيكلفها الكثير فعلى الأقل تقديم كوب من عصير اللمون أوفنجان قهوة . أن ملعقة السكر وقليل من البن أو عصير نصف ليمونة ليعتبر خسارة فادحة لايمكن تعويضها .

ولم تتوقف أفكارها عند هذا الحد ، بل تعدت الى معاملتها مع الخادم الصغير عبده ، الذى تحمل كل هذه المشقات من أجل لقمة عيشه ، بعد أن ماتت أمه وكذلك أبوه . فعاش وحيدا الى أن التقطته هذه السيدة وربته عندها فى بيتها الصغير .

ولكنها كانت ترمى اليه بكسرة صغيرة من الخبز ، وقطعة صغيرة جداً من الجبن . أما هى فكانت تضع أمامها مالذ وطاب من فاخر الطعام ، وكان عبده يحمله فوق صينية من النحاس و يذهب الى حجرتها ، وفى أثناء حمله كان يلتهم الطعام بعينيه

و يتمنى لو أكل هذا الطعام مرة فى حياته ثم تفعل سيدته به ماتشاء . ولكنه سرعان مايفيق من غفوته وتصوراته على صوت سيدته وهى تقول له :

ـــ ضع الطعام هنا .. واذهب الى المطبخ ..

وقبل أن تفوه بهذه الكلمات كان عبده قد ذهب الى ركنه المعتاد فى المطبخ ، منتظر الفضلات التى تجود بها سيدته . وجلس القرفصاء ووضع يده على خده ، كان يجول النظر كالمعتاد فيما حوله ، فوقع بصره على « دولاب الخزين » ذلك الكنز الذى يتمنى الاستيلاء عليه . فبداخله أشهى ماتتمناه نفسه من طعام ، والذ ماتصبو اليه معدته .. ولكن كيف السبيل الى فتحه ؟ .. أيحاول كسره ؟ .. أن سيدته لاتفارق المنزل دقيقة واحدة ، فكيف يستطيع أن يجد الفرصة السانحة ، أسرق المفتاح ؟ ولكن سيدته حريصة كل الحرص على هذا المفتاح .. أنها تربطه بجيبها وتتأكد من وجوده كل لحظة اذن .. فكيف يمكنه أن يستولى على المفتاح ؟!! . هذا السؤال طالما دار فى رأسه هامسا .

ودق الجرس الموضوع فى المطبخ والمتصل بحجرة سيدته فهب عبده مسرعا ليأخذ طعامه ، وما أن فتح الباب حتى قالت له سيدته :

ـــ كوب ماء ..

فقال بحسرة وألم :

ـــ حاضر ياستى ..

وخرج من الغرفة متباطىء الخطوات ، وقد تملكه ضيق شديد من هذه السيدة . لقد كان يظن انها ستعطيه طعامه من فضلاتها . وتباطأ عمدا وهو يحضر الماء .. وعندما أحضر لها كوب الماء ابتدرته بصوتها العاصف :

— انت نايم ؟ .. أنت ولد كسلان لاتنفع فى أى شىء .. سأحرمك من الأكل هذا الصباح ..

وحمل عبده الصينية وعليها الأطباق الفارغة ليغسلها بانكسار و بعد مدة دق الجرس الخارجى ، فهرع الى باب ليجد ابنة سيدته وزوجها ، فأدخلها حجرة الضيوف وذهب ليخبر سيدته بالكارثة التى حلت بها :

— ستى .. ستى .. الست الصغيرة هى وزوجها فى الصالون ..

وقعت هذه العبارة على رأس السيدة العجوز التى ما لبثت أن قامت من مكانها وكأنها مسحورة . وذهب لاستقبال ضيوفها وعلى وجهها ابتسامة مصطنعة ، و بعد فترة قصيرة دق الجرس الخارجى ثمانية ، وذهب عبده ليفتح الباب ، فوجد صديقتين حميمتين لسيدته العجوز لا يزورونها الا مرة واحده كل ثلاث شهور أو أكثر. فأدخلهما على الفور فى حجرة الضيوف . وكان دخولهما كفيلا لأن يصيب السيدة بالذهول والدهشة .

وذهبت السيدة إلى « دولاب الخزين » وأعدت القهوة وفمها كالمرجل يزوم بكلمات غير مفهومة وأخيرا قالت لعبده .

ـــ أحضر القهوة الى الضيوف . .

وحمل عبده الصينية وعليها الفناجين ، وذهب الى الضيوف وكلما أخذ ضيف فنجان القهوة كان قلب السيدة يغوص بين جنبيها ، وعينها مصوبة لكل فنجان فى تحركاته ، وما كاد عبده يخرج من الحجرة حتى طرأت على ذهنه فكرة . . فإستدار بسرعة وقال لسيدته بموت . . بصوت عال أمام الضيوف :

ـــ ستى . . هات المفتاح . . « مفتاح الخزين » . . آخذأكلى من الدولاب وأحمر وجه السيدة ، واحتارت فى أمرها ونظرت الى ضيوفها فوجدتهم ينظرون اليها فى لهفة ، فقالت بغصة محاولة الابتسام :

ـــ آه . . لقد نسيت ياعبده . . خذ المفتاح وهاته بسرعة

وأعطته المفتاح وكأنها تعطيه روحها ، وكأنه يأخذ روحه ، وأخذه عبده وخرج مهرولا الى « الدولاب الخزين » ذلك الكنز العتيق . . ولو أنك أعطيته جميع ذهب الأرض فى هذه اللحظة لما ساوت شيئا بجانب هذا المفتاح . . مفتاح الكنز ! ! .

وبينما كان غارقا فى تأملاته أمام الدولاب « دولاب الخزين » المليء بالمأكولات الشهية ، لم يشعر الا بتلك الضربة القاسية التى تلقاها ، فأطاحت به على الأرض ، وتركته مكوما بجوار الدولاب .

وكـان آخر شيء أغلق جفنيه عليه .. صورة المفتاح ، وسيدته تتناوله بعنف .. وتضعه بغل فى صدرها .

● نظرة حب
فى المترو ●

●● وضمته بين جفونها ..
وأحس هو بالراحة ..
وهى تحتضن كفه بين كفها ..



تكدس أمام محطة المترو بشارع الجلاء أكثر من مائتى راكب فى انتظار المترو .. وقت الظهيرة . كانت درجة الحرارة أربعين . وأشعة الشمس تشوى الناس .. ببطء .. ولا مظلة .. ولا مكان للهروب من هذا الجحيم الا المترو .. لكى ينحشروا فيه . وهذا الشارع لا تنقصه وسيلة للمواصلات التى تمر به الا ممر لطائرات الهليوكبتر .. وترعة للمراكب الشراعية .. وبهذا تكتمل فيه وسائل المواصلات التى أخترعها الانسان .. التى يكاد يخترعها الحيوان أيضا .. فى عصر التكنولوجيا .

وأخيرا جاء المترو .. بعد أن ذابت أعصاب الناس ووقف . وعندئذ بدأت عملية الهجوم لأقتحام الثغرة التى يسمونها باب .. وانحشر عشرات الركاب فلا من يريد أن ينزل من المترو يعرف الوسيلة .. ولا من يريد الصعود يستطيع أن يجد ثغرة لينفذ منها .. وذابت أيضا أجساد النساء فى الرجال .. والرجال فى النساء . لأن الشمس الحارقة أذابت ما فى العقل من بقية عقل للتفكير .

وداخل عربة المترو .. تبدأ أيضا لعبة الكراسى الموسيقية .. كل يحاول أن يعثر على كرسى خال . والكل يهجم بلا توقف . فالموسيقى لا تتوقف . شاب يسابق فتاة جميلة لكى يجلس قبلها . وامرأة مكتنزة تسد الطريق لكى تفوز بالكرسى الآخر .. وامرأة حامل تصارع الجميع لكى تعثر على كرسى خال ، فيسبقها كهل اليه . ومجموعة من الشبان الخنافس تزاحم الفتيات للمعاكسة فقط .. وسط هذا الزحام . وشاب وخطيبته ..

يكافحان ليجدا كرسيين ليجلسا معا .. ولكن اللعبة لا تمكنهما من ذلك .. فيجلس هوفى كرسى .. وهى فى كرسى آخر مجاور .. و يقف بينما بقية الركاب الذين لم يجدوا أى كرسى خال ، يحمدون الله على أنهم قد وجدوا مكانا ليقفوا فيه . وتحاول الخطيبة أن تتملص بنظراتها لترى خطيبها من بين الأجساد المتلاحمة .. لتقول له كلمة .. وهو أيضا يمد اليها يده .. لكى يتأكد من أنها لم تذب من شدة اللهيب .. والجو الخانق .. و يتحرك المترو حاملا فى أحشائه .. كل هؤلاء المعذبين .. و يتلوى فوق الشريط المحدود له .. وتتشابك أغرب الحكايات .. والمواقف .. و يذوب الحوار بين قطرات العرق المتصببة فوق كل الوجوه .. و بين مختلف النماذج البشرية .

ـ يا أستاذ .. من فضلك .. تبعد قليلا ..

ـ الى أين .. يا مدام ؟

ـ الدنيا حر ..

ـ التذاكر .. الأبونيه

ـ يا مرفت .. تعالى هنا .. فيه مكان للوقوف ..

أين يا أنسة .. أنها ستسد الشباك الذى نتنفس منه .

ـ وما المانع ؟

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .. الأستاذ أغمى عليه ..

ـ يا حرام ..

ـ أى زجاجة كلونيا .. برفان ..

— تفضل يا أستاذ ..

— لا حول ولا قوة الا بالله .. الرجل لم يتحمل الوقفه والحر

— زجاجة البرفان . ستنتهى .. من فضلك يا أستاذ الزجاجة .

— تفضلى يا هانم .. شكراً .. الأستاذ عاد لوعيه ..

— لا أحد يقوم .. ليجلس مكانه ..

— مجدى .. مجدى .. مجدى ..

— نعم ..

— أكاد أختنق ..

— سأترك الكرسى .. لتجلس عليه تلك المرأة الحامل .. وأقف بجوارك ..

— لا .. ستتعب .. لا تقف يا حبيبى ..

— لكن المرأة الحامل .. أهم .. يا مدام .. يا مدام .. تفضلى مكانى ..

— متشكرة جدا ..

— ماذا تفعل يا أستاذ .. يا أستاذ .. لقد وقفت لتجلس هذه المدام .. أنها حامل .. يا أستاذ .. تسمح تقوم .. أنت .. أنت يا جبان ..

— أنسان غريب .. الأستاذ وقف لتجلس المرأة الحامل فهجم بغل .. وجلس مكانه .. ولا يريد أن ينطق .

— مجدى .. مجدى .. لا داعى للمشاجرة ..

— مشاجرة .. انسان سافل .. جبان .. يجلس مكانى وقد وقفت لكى تجلس المرأة الحامل ..

— مجدى .. لا داعى للمشاجرة .. تعالى بجوارى ..

— حيوان .. جبان .. لا يريد أن ينطق ..

— مجدى .. تعالى .. بجانبى ..

ونظرت اليه نظرات كلها حنان .. وحب .. وتشابكت أصابعها .. ووضع يده فوق كتفها .. حتى لا يتمايل .. وشعر بنسمة حلوة تهب عليه وسط هذا الزحام الخانق ..

وضمته هى بين جفونها .. وأحس هو بالراحة .. وهى تحتضن كفه بين كفها .. والحوار بين الركاب ارتفعت درجة حرارته بالسباب .. والمترو .. يعوى وهو يتلوى مسرعا فوق الشريط الملتهب ..

● الحب .. عندما طار !! ●

● ● وتجمدت الدموع فى عينيه .. وحمل حقيبته .. ثم صعد إلى الطائرة .. التى انطلقت بأقصى سرعة إلى السماء .



الأسرة الصغيرة .. استيقظت من الأرق .. فلم يستطع أحد أن يغازل النوم .. الأب .. الأم .. الجدة .. الابن .. الابنة .. الكل يتحركون داخل الشقة كالآلات .. يستعدون للذهاب إلى المطار .. والساعة تدق الخامسة . الابن الوحيد يراجع ما أخذه معه فى رحلة المجهول .. إلى البلاد البعيدة والأم تتابعه بدموعها المحتبسة ، والجدة تنظر إليه إنه صورة من ابنها .. وتمضغ ألمها .. والإبنة تنظر إلى أخيها الوحيد .. الذى كان يؤنس وحدتها .. والأب جالس فى حجرة مكتبه .. بعد أن تحول هو إلى كتاب مغلق .

وتحركت السيارة إلى المطار .. يقودها الإبن المسافر .. وجلس بجواره الأب .. وفى المقعد الخلفى جلست الأم ، والجدة ، والإبنة ، ونام الصمت فوق شفاههم ، وتعلقت آذانهم بصوت المقرىء فى راديو السيارة .. وآيات من القرآن الكريم تعطر آذانهم .. وتثبت قلوبهم .

الأب :

وفى الطريق الطويل إلى المطار .. كان الأب ينظر إلى ابنه وهو يسوق السيارة .. والصور تتشابك فى مخيلته .. عندما كان الابن صغيرا يحبو .. و يلعب معه ، وتزداد فرحته عندما نطق كلمة بابا .. ماما .. كا .. بو .. ثم يقف .. ويجرى .. ويجرى .. و يلعب معه فى الحديقة .. مع دراجته الصغيرة .. و يستمع إلى

موسيقى أغنية أم كلثوم .. « أنت عمرى » .. ويجلسه على حجره ليعلمه الكتابه على الآلة الكاتبة .. و يطفى الشمعة التالتة .. والرابعة .. والخامسة .. وتكتمل الفرحة عند الأب .. والطفل الصغير .. يتعلق بيده الصغيرة فى يد أبيه وقد ارتدى مريلة المدرسة لأول مرة .. و يترنم الأب بأغنية .. يرددها معه الصغير .. فرحا كالعصفور يقفز .. بجوار أبيه .. لا يريد أن يتركه عندما جاءت المدرّسة لتأخذه مع التلاميذ .. بكى الطفل .. لا يريد أن يترك الأب .. قبله .. أغْرَت المدرسة الطفل بلعبة .. الطفل يبكى .. لا يريد أن يترك الأب يذهب .. و يتركه . ومر ذلك اليوم الذى لا ينساه الأب . وتعوّد الطفل بعد ذلك كل صباح .. يذهب مع الأب إلى المدرسة .. و يغنيان معا أغنية فرنسية .. يقول ..

« المكتوب مكتوب .. ولابد أن تراه العين .. هل سأكون طبيب .. أم مدرسا .. أم مهندسا .. المكتوب مكتوب .. ولابد أن تراه العين ...

وازدادت سعادة الأب .. عندما استطاع الابن أن يعوم فى البحر .. بجوار أبيه .. وأن يقود السيارة بنفسه .. وأن يحصل على البكالور يوس من الجامعة ..

ثم يفاجأ الأب برغبة ابنه فى السفر الى الخارج .. مهاجرا ..

ـــ لماذا ؟

ـــ كل زملائى يسافرون ؟

ـــ كل شيء متوفر لك هنا ..

ـــ هنا .. لا مستقبل !

ـــ كيف ؟ .. وفرت لك الشقة .. السيارة .. باقى بنت الحلال .

ـــ أريد أن اعتمد على نفسى .

ـــ اعتمد على نفسك هنا .. فى بلدك .

ـــ كيف اعتمد على نفسى هنا .. والمرتب لا يكفى لشراء بنطلون ..

ـــ هنا أعمال أخرى .

ـــ أية أعمال أخرى .. لقد استولى عليها الحرامية ..

ـــ سيقضى عليهم . فالحرام نهايته عاجلة ..

ـــ لا أظن ..

ـــ وماذا فى الخارج ؟

ـــ كل شيء .. يكفى أنهم يحترمون الإنسان ..

ـــ وهناك لصوص فى وضح النهار..

ـــ حالات شاذة .

ـــ ماذا تريد أن تحقيق هناك .. غسيل الأطباق .. أم مسح الموائد فى الفنادق والمطاعم .. أم ..

ــ يكفى أننى اكتسب معلومه كل يوم هناك .. وأحس بوجودى ..

ــ إن مصر أم الدنيا ..

كلام على الورق ..

ــ هذه حقيقة ..

ــ كانت !!!

ــ إذا هاجرتم كلكم .. من يبنى مستقبل البلد ؟ .. هل نستورد شبابا من الخارج ؟

ــ عندما تهتم البلد بنا .

ــ تعليم مجانا .. ولكم الوظيفة ..

ــ ما قيمة الوظيفة .. وهناك اللصوص يمتصون الخيرات ..

ــ سنقضى عليهم .

ــ عندئذ يعود كل الشباب .

قاوم الأب رغبة ابنه .. عاما .. وراء العام . وتكشفت له المأساة .. الشباب يهرب .. والذى لا يهرب .. لا ينتمى .. والقدوة .. والمثل . مثل خيال المآتة ، وعلى صفحات الجرائد معارك وهمية ، ونبش فى عظام الموتى ، وتصفية حسابات قديمة ، وانتقامات وسباب ، فضائح ، وقصص اختلاسات .. وجرائم جنسية .. والحقيقة .. والجمال .. والحب .. يدفن كل يوم تحت

أهرامات الزبالة ، حثالة الأخلاقيات .. المنهارة .. ودوامات .. دوامات .. لايجد فيها الشباب خلاصا منها ..

ووجد الأب نفسه .. داخل الدوامات فى صدره .. هل يترك ابنه يطير إلى عالم المجهول .. يحقق ذاته .. وهو ليس الأول .. وليس الأخير .. أم يجبره على قبول الواقع .. فتزداد كراهيته للبلد .. ثم الانحراف .. كلا الاختيارين صعب على نفس الأب الطيران إلى الخارج .. ليعرف حقيقة البلد .. ويعود مؤمنا والتجربة مع الواقع .. صعبة ولاحصانة له أمام التيارات المتصارعة ..

ووافق الأب على أمرّ الاختيارين .. الطيران إلى الخارج .. وتشابكت الصور فى مخيلته .. تحجرت الدموع فى عينيه .. وجف حلقه .. ولابد أن يكون صامدا أمام الأسرة الصغيرة .. وماتت الكلمات فى حلقه السيارة مازالت منطلقة نحو المطار.

الأم :

من خلال الدموع التى تملأ مآقيها .. تنظر الأم إلى ابنها وهو يسوق السيارة المنطلقة إلى المطار .. والغيوم .. والسحب .. والرذاذ يتساقط . إنها لاتتصور .. بعد لحظات .. يطير ابنها . لقد أمرها الطبيب .. منذ اكثر من عشرين عاما . أن ترقد على ظهرها دون حركة طوال تسعة أشهر حتى لاتصاب بنزيف للمرة الرابعة .. بعد أن تأكد الحمل .. وهكذا حملت فى ابنها .. ولم تستطع أن تلد ولادة طبيعية مثل باقى الأمهات .. وبعملية

قيصرية جاء هذا الابن فكان الماسة التى انارت لها طريق الحياة .

وكانت تهرع به إلى الطبيب كلما شعرت بارتفاع حرارته .. وتطوف بالصيدليات لتحصل على دواء له ، أو لبن لتغذيته .. وتحميه بقبلاتها ، وتغذيه من قلبها ، وتحشر له الموز فى فمه .. ليكبر .. و يكبر .. و يكبر . وتنتظر عند عودته من المدرسة ، لتحل معه واجب المدرسة .. وتبحث له عن المدرسين .. ليجتاز لعبة الامتحانات فى الاعدادية .. والثانوية .. وتنتظر النتيجة .. بأعصاب .. وتوزع الشربات عند نجاحه .. وعندما تخرج من الجامعه .. بدأت تبحث له عن عروس .. وكان قلبها يزغرد عندما تسمع أصوت كلاكس السيارة المميز .. وهو يطلقه .. عندما يأتى إلى البيت .

وعندما كان يضع رأسه على ذراعها ، تضمه بدفء قلبها . و يظل يحكى لها حكاياته مع أصدقائه .. وزميلاته فى الجامعة .. فيرتاح .. وترتاح هى .. إلى أن قال لها .. إنه ينوى السفر إلى الخارج .. فكانت كلماته لدغة عقرب أصابت قلبها .

كيف سيعيش بمفرده .. كيف سيأكل .. كيف سيغسل هدومه .. إذا مرض من سيهتم به .

وظلت الأم تحاوره .. عاما .. بعد عام .. والابن يزداد تصميمه كل يوم .. يعلنون فى الصحف .. عن تمليك الشباب

الأراضي .. ولاشيء الاسعار ترتفع .. والمرتبات كسيحة .. الأعمال الحرة .. تختنق .. رجال الأعمال يهربون .. سرقات بالملايين .. ويهرب بها اللصوص ..

وحانت اللحظة الحاسمة .. الابن يقود السيارة الى المطار .. والأم تنظر إليه .. ولحظة الفراق تقترب .. وقد شلّت تفكيرها .. حتى عن الصراخ .. والقلب ينزف صارخا .

الجدة :

إلى الابن . وإلى الحفيد الذى يقود السيارة . تنظر الجدة .. كان الحفيد يزورها بين الحين والحين .. و يؤنس وحدتها .. و يسلّيها .. و يصلح لها الأشياء التى انكسرت .. و يساعدها .. سوف تفتقده . فابنها مشغول دائما .. يحضر إليها .. وعقله مشغول عنها .. يتحدث فى التليفون عن مواعيد الاجتماعات .. دائم العمل .. يجلس على مكتبه .. يعمل .. و يكتب .. و ينزل .. و يأتى فى المساء متأخرا .. تجد السعادة فى أن تعد له الطعام العشاء .. أما الحفيد .. فيتحدث إليها . تحدثه .. يحكى لها .. تحكى .. له .. يستمع إليها .. حتى هذه اللحظات .. ستحرم منها .. تنظر إليهما .. الابن .. والحفيد الجالسان فى المقعد الأمامى والسيارة .. تنطلق إلى المطار .. لحظات .. و يطير الحفيد .. ونظرت إلى ابنها . وجدته كتلة من الصمت . والسيارة منطلقة إلى المطار .

الابنة :

وفى المقعد الخلفى من السيارة جلست الابنة خلف أخيها .. تنظر إليه . والدموع تتساقط من عينيها .. لم تستطع أن تخفيها . ستحرم من مناوشاته .. ومعاكساته لها . ولن تستطيع أن تذهب إلى السينما .. التى كانت يعزمها .. كلما وجد فيلما جديدا غريباً .إنها لم تتعود أن يفارقها مدة طويلة .. مثل هذه الرحلة .. وكان يعلّمها .. كيف تستمع إلى الموسيقى .. وكيف تقود السيارة ويحكى لها حكاياته مع أصدقائه ..

ولا تنسى أيام أن كان ينتظرها فى الشارع مع أمها .. عندما تتأخر فى محاضرات الجامعة .. و يتأخر الأ توبيس .. والأمطار تهطل . وستحرم من نرفزته عندما تأخذ بعض حاجياته .. وكتبه .. لم تحس أنه كان يملأ حياتها .. إلا عندما أراد السفر إلى الخارج ..

السيارة مازالت منطلقة إلى المطار .. الذى ظهر واضحا فقد اقتربت اللحظة .

الابن :

قبلات من الأم .. والجدة .. والابنة .. حمل .. حقيبته .. ودخل معه الأب صالة المطار الداخلية .. رغم اعتراض حرس المطار وجاء معه أحد الضباط الذى يعرف والده .. لتسهيل إجراءات الجوازات .. وقبله الأب .. ووقف .. واستمر الابن فى

الإجراءات .. وتظر خلفه .. وجد أمه تنظر إليه من الزجاج الخارجى لباب المطار .. ومعها أخته .. وجدّته . وتظر إلى أبيه .. وجده واقفا كالتمثال .

إنه يحبهم جميعا .. ويحب البلد أيضا .. ولكنه لايجد مستقبله واضحا .. معظم زملائه .. قد سافروا إلى الخارج .. ولماذا لايجرب حظه .. قد يجده هناك .. وقد لايجده .. وسوف يعود ..

لماذا يفعلون ذلك .. وكأنه ذاهب إلى الموت .. وكأنهم لن يروه ثانية .. هل حرام أن يشقى الإنسان و يكافح من أجل حياة أفضل .. ومستقبل أحسن .. وماذا سأفعل فى البلد .. سأعيش موظفا .. وأموت موظفا . إننى أحس بطاقة كبيرة .. لا أجد لها متنفسا فى بلدى .. لماذا لا أجرب حظى هناك إننى أحس أننى ابن عاق .. وأننى ارتكب بسفرى جريمة .. أعظم من جريمة من يقتل والده وأمه . لماذا ؟ .. لماذا ؟

أعرف أنكم تحبوننى .. وأنا أيضا .. ولكن لابد من التجربة .. وقد أنجح .. وعندى العزيمة على هذا .. وأعرف أن الفراق صعب .. ولكن لابد من المغامرة .. وهذه المغامرة ورثتها منك يا أبى .. فلماذا تبدو لى حزينا .. صامتا ..

مرّت اللحظات .. كأنها سنوات .. وتجمدت الدموع فى عينيه .. وحمل حقيبته .. ثم صعد إلى الطائرة .. التى انطلقت بأقصى سرعة إلى .. السماء ..

كلمات .. وتحليلات

رؤيـة نقـدية

« آه ... يـا بلـــد »
ترنيمة حب لمصر

بقلم : د . عبدالعزيز شرف

يعد فن القصة القصيرة من الفنون الأدبية التى تحاكى الطبيعة ببساطتها وعدم تكلفها ، ولذلك يعتبرها النقاد فناً إتصالياً موجزاً ، فالقصة إذن من أكثر الأنواع الأدبية ، إنطلاقاً وحرية ، ولذلك تعد أبسط أنواع الإتصال الأدبى وأعقدها فى الوقت نفسه ، الأمر الذى يجعلها تقول إن أساس هذا الفن الأدبى إنما يكمن فى وجود الكاتب الحقيقى .

ونعرض اليوم لمجموعة قصصية جديدة للأديب فتحى الإبيارى بعنوان « آه يا بلد » حيث يتأكد للقارئ ما نعنيه ببلاغة الانجاز فى فن القصة القصيرة ، وهى البلاغة التى يؤكدها النقاد فى الغرب ، والتى نقول نحن أنها خصيصة عربية ، إذ درجت العرب ـ كما يقول الجاحظ ـ على إيثار الإيجاز وحمد الاختصار وذم الاكتثار والتطويل والتكرار ، وكل ما فضل عن المقدار ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت ، دائم السكوت يتكلم بجواً مع الكلم لا فضل

ولا تقصير ، وكان يبغض الثرثار بين المتشدقين ، وكان يقال أفصح الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة وحينما تصدى الكتاب العرب فى العصر الحديث لاستنبات فن القصة القصيرة فى أدبنا ، أتيح لهم هذا التفوق ، لاتفاق روح الايجاز فى هذا الفن الوافد ، وفى البلاغة العربية الموصولة .

والأستاذ فتحى الإبيارى كقصاص ، قد أفاد من هذه الخصيصة العربية فى كتابته القصصية ، كما أفاد من دراساته الاعلامية فى جعل فن القصة القصيرة فناً اتصالياً بالدرجة الأولى .

وفى مجموعته القصصية الجديدة « آه يا بلد » يعالج مفهوم الغربة بالقياس إلى الإنسان المعاصر ، الغربة الداخلية والخارجية ، على النحو الذى يذكرنا تشبيه أحد المفكرين المعاصرين للحياة البشرية بشجرة السنديان الكبيرة كما أن لهذه الشجرة جذوراً متأصلة فى أعماق التربة تستمد منها الغذاء الحى الكامن فى الأرض ، وساقاً ضخمة تنقل هذا الغذاء إلى أعلى حيث النور والهواء ، فكذلك للموجود البشرى حياة شخصية « جوانية » تستمد منها حياته الخارجية كل ما هى فى حاجة إليه من غذاء ، وهذه الحياة الخارجية بدورها مرتبطة بالحياة العليا التى لابد لها

من أن تتفتح فيها وتؤتى ثمارها ، ولو أننا فصلنا الواحدة منها عن الآخرين ، أو الواحدة من الأخرى ، لما قامت للحياة البشرية عندئذ قائمة ، لأنها فى هذه الحالة سرعان ما تجف وتذبل ، لكى لا تلبث أن تتلف وتغنى ، أما إذا أعدنا إلى تلك الحالات الثلاثة استمرارها وانتظامها ، فهنالك لابد من أن تجرى الحياة حارة دافقة ، فى عروق الموجود البشرى وبالتالى فإنه لابد من أن ينعم الإنسان بالتوافق والاتزان .

وحول هذا المعنى الجديد بالنظر تدور المجموعة القصصية الجديدة للأديب فتحى الإبيارى ، وهى المجموعة التى تضم تسع قصص الأولى بعنوان « إنفجار » والثانية بعنوان « زلطة » والثالثة باسم « من الشارع » والرابعة بعنوان « مزق الصمت » إلى جانب القصص الخمس الأخرى وهى « عارية من الحب » و « المزلقان » و « المفتاح » و « نظرة حب فى المترو » و « الحب عندما طار » .

ويصور فى هذه القصص عدداً من النماذج البشرية ، ذات السلوك الإيجابى ، والأخرى ذات السلوك السلبى ، فى إطار من الرؤية النقدية التى تستهدف تحقيق رسالة الأدب بالقياس إلى المجتمع ،

وحيث يؤكد فى ثنايا سطور كل قصة أن الإيمان هو سبيل الخلاص من غربة الإنسان الداخلية والخارجية ، وأن الإيمان هو سبيل تحقيق الحياة العادلة على الأرض ، وأن الحب هو صورة .. من صور التوازن التى يحققها إيمان الإنسان ، وتطلعه الروحى إلى الأسس ، ففى قصة عارية من الحب يطرح قضية تتلخص فى هذا السؤال متى تصبح المدينة عارية من الحب ؟ وماذا يفعل الذين يعيشون فى أعماقها ؟ وفى قصة « المزلقان » سؤال يثار بأسلوب آخر ما قيمة الملايين مع التعاسة ؟ المهم أن نكون قانعين .

أجل .. إن المؤلف يحاول أن يصور قضية الإنسان المعاصر التى ترتبط بما يسميه علماء الاعلام « ثورة التطلعات » هذه الثورة التى ترتبط بالتقدم التكنولوجى والمادى والتى أدت بالإنسان إلى أن يتجاوز حدود القناعة ، وأن يتطلع إلى المزيد بشكل مرضى ، أدى به إلى أن يفقد جوهر السعادة الذى كان قد حصل عليه فى الأديان السماوية ، وفى تحقيق توازنه الروحى ، فليست السعادة هى تحقيق ثروة الملايين ولكنها بالفعل تكمن فى الآية الكريمة « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .. ان « الرضى » هو بيت القصيد ، وهو العلاج الناجح لأمراض العصر التى يعانى منها الإنسان ، والتى جعلته يشعر بألوان غريبة من

الاغتراب عن نفسه وعن عالمه فالسعادة التى يصورها الكاتب إذن هى تحقيق ضرب من الانسجام بين الذات وعالمها الخارج والحرية - كما يصورها - واقعة دينامية لا يفشها إلا فى لحظات اهتمامنا بالعالم وانشغالنا بالآخرين وهكذا يواصل أديبنا الأستاذ فتحى الإبيارى مسيرته القصصية فيضيف إلى رصيده فى القصة القصيرة هذه المجموعة التى نتحدث عنها اليوم ، وقد سبقها مجموعته الأولى « بلا نهاية » عام ١٩٦٦٦ وتوالت مجموعاته القصصية بعدها بأسماء : قصص قصيرة جداً ، ترنيمة حب ، قلب الحب ، كلمة حلوة ، رحلة صيد قصيرة .

وفى هذه المجموعات تتبلور الرؤية القصصية للأديب فتحى الإبيارى ، فنياً ، وفكرياً ، فى تصوير الصراع الإنسانى من خلال النماذج البشرية المقبولة والمرفوضة اجتماعياً ، إيماناً منه بوظيفة القصة فى النقد الاجتماعى .

ومجموعة قصص « آه يا بلد » لفتحى الإبيارى ، تعتبر إنعطافة حادة فى مسيرة حياته الأدبية ، مليئة بشحنة حب دافئة لبلده ، وناسه ، ومجتمعه .

● نشرت بجريدة الأهرام مارس ١٩٨٧ وجريدة المستقبل العدد ٢٠ ابريل ١٩٨٧

رؤية نقدية

« آه ... يا بلـــد »

د . عبدالحميد إبراهيم

آخر مجموعة أصدرها فتحى الإبيارى « آه يا بلد » ، شئ رهيب جداً بعد هذه المسيرة ، وبعد هذا يأتى هذا العنوان الداكن ، الحزين الرافض ، الإنسان بذل عصارة عمره فى المطبعة ، بذل دمه مع الكلمة أن تأتى هذه المجموعة التى تحمل الغلاف الأسود ، لولا أن يضيئها صورة زميلنا على الغلاف ، صورة مشرقة بيضاء هذا الغلاف الأسود عليه نقطة دم حمراء مجروحه تنزف دماً ذلك هو المدخل إلى تلك المجموعة ، مجموعة الصديق الأستاذ فتحى الإبيارى ... يخيم عليه هذا الجو المظلم ، وقد كان رسمها ذكياً غاية الذكاء ، وأظن أن الذى اشترك فى تصميم الغلاف ابنه حسن فتحى والفنان جابر ناشد ، صور من الإنسان المصرى المعاصر الذى نجده على وجه كل منا ، تقاطيع وتجاعيد من الحزن مهما كان شاباً ، وإنه إذا كانت هناك ابتسامة فإنها ابتسامة تختفى ، صور شعور منكوشة ، أعين زائغة ، أفواه متفرجة عظام

واضطرابات تكاد تضعنا فى معمعة الإنسان المصرى. وهنا إبداع فتحى الإبيارى ، إنه لا يكتفى أن يكتب من السطح يكتب عن الحب والرومانسية ، ويجنح إلى تيار الشعور فيكتب تقليداً لفرجينا وولف أو مارسيل بروست ، أو غيرهما أو نماذج من مجتمعات أخرى ، نحس أنها صور لمجتمعات مجلوبة تأتى عن طريق القراءة أو عن طريق التقليد ، لا يكتفى بذلك فصاحبنا فتحى الإبيارى كاتب لا ينعزل فى الأبراج العاجية ولايكتب من بعيد ، هو محب لمصر على الرغم من أنه فى كل لحظة يقول « آه يا بلد » محب لها غاية الحب ، محب لكل النماذج التى يتعامل معها من خلال قصصه ومن خلال رواياته على الرغم من أنه يضيق بها ، وكما يقولون فإن الضيق وجه آخر من أوجه الحب ، أحياناً أضيق بشخص ما ، وأحياناً يضيق فلان من شخصية ما ، ولكن ربما هذا الضيق وجه آخر من أوجه الحب ، الذى لا يستطيع أن يصل للشئ فيضيق به ويعتبر العنب كله حصرما ، فتحى الإبيارى من هذا النوع الذى يحب مصر حتى النخاع ، يجب عرقها ، يحب آلامها ، يجب همومها .

مجموعة « آه يا بلد » هى النغمة الرئيسية فى تلك المجموعة ، ومن هنا كان الذكاء غاية الذكاء بأنه لم يختر لهذه المجموعة عنوان قصة من قصصها كما

يفعل كثير من الكتاب ، وإنما إختار « الموتيفة » الرئيسية أو النغمة الرئيسية التى تدور حولها القصة أو اللحن الرئيس كما يقول أصحاب الموسيقى الكورسترالية عندما يبحثون عن قرار رئيسى للأعمال السيمفونية ويرون أن بقية النغمات تخدمها وتؤازرها فهو بحس فنى قصصى ، اختار هذه الموتيفة الرئيسية عنواناً لهذه المجموعة ، لم يكن الاختيار عبثاً ، أو لم يكن إلهاماً من الفنان لا يدركه ، فان كثيراً من الفنانين تجد عندهم بعض الالهامات فلا يدركونها ولا يعونها ، ولكن فتحى الإبيارى كما قلت لكم كاتب قصة وفى نفس الوقت ناقد ودارس ، يعرف ماذا يريد ؟ لهذا نراه حينما يقدم لهذه المجموعة يقع على هذه الفكرة التى قلتها لكم فيقول فى المقدمة « وليس هناك قصة بعنوان آه يا بلد ولكن فى نهاية كل قصة ستجد نفسك تستريح عندما تقول « آه يا بلد » . أبقاه الله وحفظه من هذه الآهات التى تسيطر عليه .. ولكن أصارحكم القول أننى لم أخش على فتحى الإبيارى من هذه النبرة ، فلايزال شامخاً باقياً ، آهات المراهقة التى كنت أجدها عنده فى فترة الستينات لم تضعفه ولم تجعله يلقى السلاح سيستمر معطاءاً ، لا أقول هذا من

خلال معرفتى لفتحى الإبيارى وإنما أقول أيضاً من واقع قصصه .

مجموعته من أحدث المجموعات ، لم يقل لى ذلك وإنما التمسته من خلال معرفتى بفتحى الإبيارى فهو قد أتى قريباً من العمرة كان فى ضيافة الرحمن ، فالمجموعة الأولى « إنفجار » تبدأ عقب عودته فى ضيافة الرحمن من الزيارة لبيت الله الحرام خلص نفسه من أدران الحياة ، والتقى وجها بوجه إلى الله وطاف حول الكعبة وذكريات المنطقة من أيام إبراهيم وإسماعيل ومحمد والخلفاء أبوبكر وعمر وعلى ومحمد .. حتى فتحى الإبيارى ، كل هؤلاء الناس يقفون أمام الكعبة يتطهرون لا يحملون من الدنيا إلا ستاراً أبيض ، يحيط به ملابس الإحرام ، يتجردون من كل شئ ، من كل مخيط ومحيط ، عاد إلى مصر بعد سياحة روحانية مع الله ، تطهرت نفسه وأراد أن يثيب على أهله وعلى أحبابه وأراد أن يلتقى معهم بعد أن قدم لهم الدعوات الخالصات فى البيت الحرام .

وبعد عودته التقى بهذا الوجه الأسود الذى ترونه أمامكم على الغلاف وبهذه الدماء التى ترونها بأجهزة الضرائب من أول يوم ويدخل فى معركة مع الضرائب ، وكأن أجهزة الإدارة والموظفين قد

تخصصوا فى تنكيد الإنسان المصرى ، يخرج منفعلاً كأديب ، زحام الشارع مع خطيبته ، تداهمه سيارة .. مشكلة ، يهرب بفتاته إلى المقطم كى يستريح ، ولكى ينتفس الهواء النقى فوق المقطم . يرى مصر تذكره فتاته بالشقة ، وإنهم لم يأتوا إلى المقطم لكى يبحثوا عن الهواء النقى ، فهكذا ترى لايصح له أن يتمناه فى عصر « آه يا بلد » يسأل عن الرجل الذى وعده بشقه ، يسأل طوب الأرض فلا يجده ، يطل من فوق المقطم على الأهرام ، على آثار مصر فيرى أن يعود بالتاريخ لأنى كما قلت لكم أنه رجل مثقف لا يكتفى باللحظات العابرة التى تمر وتعرض أمامه ، يتذكر تاريخ مصر من أوله يقوم على الاستبداد وأن هذه الأهرام لا تذكره إلا باستبداد الفراعنة ، وأن القلعة لا تذكره إلا بالذل ، وأن مساجد المماليك تعكس تاريخ مصر الطويل الذى تجسد فى عصره ، لم يكتف بالمحلى أو بالخاص أو بالنماذج التى يعايشها وإنما حاول أن يفلسف هذه الأشياء ، لاأحدثكم عن الفلسفة هنا أتت أو تشربتها طبيعة القصة إنما أحدثكم عن فئة ، كل لحظة شخصية هل دخل فى باب الاستعراض والاستطراد وتعداد الشخصيات فأصاب القصة بالترهل ، أو أنه استطاع أن يدمج هذه الأشياء . نحن نكرمَ فتحى الإبيارى ، فأنا لن أتحدث عن هذا الآن

دعـونا فى لحظة الحب والصـفـاء ونؤجل إلى حين الحديث عن جانبه الفنى ، وعندى بعض ملاحظات فنية عنده وباعتباره فى معهد علمى فنحن هنا نحاكمه ، ولا أحدثه أن العواطف عنده أحياناً تزيد حسب الظروف - فتنفجر وتطفح على سطح القصة دون أن نشربها .

ونساير الآن أحداث قصة ، فأرى أنه لم يكتف بشخصيات يعايشها ليل نهار ، وكان من الممكن أن يغرق فيها حتى أذنيه ، مجتمع رهيب ، دوامة ، فيه ننسى أنفسنا ، وننسى أجمل الأشياء فى أنفسنا التى بدونها لن يكون الإنسان إنساناً ، ونتحول إلى مجرد أشباح ، لغتنا خشنة ، وجوهنا مكفهرة ، كل منا يكره الآخر ، يحاول أن يحفر له مطب من خلال القصص المرسومة ، يرتفع بهذه الشخصيات إلى تاريخ مصر ، وطبعاً من الممكن أن يعترض أحدكم بأن تاريخ مصر ليس بهذه الصورة ، لكن نحن لسنا أمام باحث تاريخى ووجهة نظر اختارها زاوية فنان ، نحن لا نحاكمه على زاوية الاختيار ، لا يمكن أن نحاكم الفنان إذا كان على زاوية الاختيار ، كتب عن الشر ولكنه فى النهاية ، كيف ينهى هذا الشر ، كتب عن القتامة ، عن التشاؤم ، كيف كتب النهاية ، نحن نحاكم العمل الفنى ، كيف يبوح بأسراره .

اقول أننى لم أحاكم فتحى الإبيارى بالزاوية التى اختارها من تاريخ مصر ولكن أحاكمه هل ما قاله نتيجة قراءات وثقافة فطفحت على ظهر القصة أو فوقها أو أن القصة قد تشربته ، أترك هذا أيضاً واستحلف له كما يقول الدكتور محمود سلامة على أن نلتقى به فى جوانبه الفنية .

أساير أحداث القصة فأرى أن فتحى الإبيارى يتابع الشخصيات ، شخصية شخصية ويقدم لنا شرائح من واقع المجتمع المصرى كاره لها ، يضيق بها ، يستخدم الطبيعة فى مواقف كثيرة لكى تقدم هذه الأحداث ولكى تتحول إلى موسيقى تصويرية تعبر عن مشاعر القارئ أو تتحول إلى خلفية فى لوحة ما لكى تعكس الفكرة لأن الفنان أى فنان وينسحب ذلك على فتحى الإبيارى لا يتعامل مع لغة جافة ، وإنما يتعامل بوسائله الخاصة مع اللغة لكى ينقل تجربته ومشاعره إلى الملتقى كما يكثر الناس الحديث عن الملتقى وإلى القارئ - كما أفضل أنا - فله وسائله منها استخدام الطبيعة « وإنطلق بسيارته بين شوارع المقطم باحثاً عن شقة إلى أن وصل إلى حافة المقطم حيث يطل منها على القاهرة ، قابعة فى السفح بآثارها وبظلال بيوتها حيث غطتها سحابات من الأدخنة الصاعدة . استخدام الخلفية من أفران الجير التى تملأ منطقة عين

الصـيـرة ، جلس هو وخطيبتـه فـوق إحدى الصـخـور يتناولان بعض الشطائر والشـمس تميل نـحـو الأفق تماماً خلف الأهرامـات التى تبـدو بـعـيـدة ،جلس يأكل همه وغيظه ، وخطيبته تحـاول أن تـخفف عنه ، طبيعة مستمرة ، ص٢٢ و « ضحك ضـحكة ضاعت فى ذلك الفضـاء الواسـع أمام بانوراما الغروب والشمس تلملم ألوانها وأشعتها من فوق القاهرة كلها ليرى فى الظلام غلالات شفافة ومادية عليها » ، لوحة كاملة وصورة توحى ، وأنا تعمدت أن أقرأ هذه المقتطفات من قصص الإبيارى لأبين استخدامه الطبيعة أو الصورة الكلية وإنما لكى تصافح آذانكم أسلوبه واستخدامه للمفردات « تلملم » قدرة على استنطاق المفردات وعلى وصفها فى أمـاكنها ، وقـدرته على أن يحمل اللفظة الواحدة بظلال كثيرة وبايحاءات ومتفجرات كثيرة ، لا أريد أن استطرد كثيراً لأننى كما قلت ، لكن الحديث عن فتحى الإبيارى بالنسبة لى ممكن يستمر حتى أسبوع .. لكن الذى أريد أن أقـوله سـأرجئ الحـديث عن الجـوانب الفنية إلى فرص أخرى نرجو أن يطالعنا بها الأستاذ جمال التلاوى فى أمسية قادمة .

ولكن مـا أريد أن أخـتم به حـديثى أن فـتـحى الإبيـارى مـحب لبلده ، مـحب لتلك الشـخـصـيـات التى

عكننت عليه حياته ، لأنها فى النهاية شخصيات هى اخوته ، أصدقاؤه ، أقاربه ، تلاميذه فى العمل ، زوجته ، أولاده ، المجتمع كله ، ولكننا فى النهاية شعب متسامح ومعطاء ، وندرك ظروفنا . المجتمع المصرى يدرك أننا ضحايا لهذه الظروف القاتلة .

من هنا نفهم السر فى نهايات قصصه التى قد تأتى مبتورة ، وقد يخيل للناقد الفنى أنها مبتورة نظراً لبتر بعض القضايا فى مجتمعنا ، انظروا كيف تأتى النهاية فى ص ٢٣ « وقف صاحبنا وكأنه يرفع من فوق كاهليه أثقالاً من الحديد ، كأنه فى مسابقة لرفع الأثقال وأحاطت وسطه بذراعها الأيمن وكأنها تمنعه من السقوط ، وظلت تدندن بأغنية حبيبة إلى نفسيهما وسمعا صوت آذان المغرب ، بدأها بضيافة الرحمن ، أنهاها بنداء الرحمن « يدعوهما إلى الاستحمام فى بحر الرحمن ، بعيداً عن الأتربة والغبار وغمر نور القمر ظلام المقطم ، وشعشعت الأنوار فى أفق القاهرة » .

شكراً لك فتحى الإبيارى وإلى اللقاء فى فرصة أخرى .

● القيت فى إحتفال جامعة المنيا بتكريم الإبيارى . ونشرت فى جريدة المستقبل العدد التاسع عشر - مارس - ١٩٨٧ .

رؤية نقدية

« آه يا بـــــلد »

د . جمال نجيب التلاوى

(آه يا بلد) أحدث مجموعة صدرت للأديب فتحى الإبيارى .. ورغم أنها تعبر عن الواقع المصرى المعاصر وعن أزمات ظهرت بعد سياسة الانفتاح ، بالرغم من معاصرة موضوعاتها ، فإن الإبيارى لايزال حتى هذه المجموعة مخلصاً لأساليب القصص التقليدية أو بالتحديد أساليب القصص التيمورية وقد نستثنى من ذلك قصتين فقط . وما يميز هذه المجموعة أنها فى معظم قصصها تعتمد على الثنائية المضادة أو مفارقة الموقف ، مشخوصة دائماً بين موقفين أحدهما ينتمى له البطل فى بداية القصة والآخر يفاجأ به مثلنا فى نهايته، هو موقف مغاير تماماً للأول ولعل الكاتب بهذا يسخر من الواقع ومن مفارقاته المرعبة ، وأحياناً ما تؤدى هذه المفارقة إلى صراع داخلى ، وغالباً ما يكون الصراع واهناً على المستوى الخارجى .

قصة « إنفجار » تعتمد - كما سبق القول - على مفارقة الموقف سواء على المستوى الواقعى

(الخارجى) ، أو على المستوى النفسى (الداخلى) ، فالبطل سعيد بعودته من أداء فريضة الحج ، يصطدم بالواقع الممثل فى جزئيات الحياة اليومية الضرائب ، اختناق الشوارع ، الحادثة التى يتعرض لها ، ولا يجد البطل خلاصاً إلا فى لقاء حبيبته فوق المقطم !

وهناك يحاول جاهدا أن يقيم توازنا نفسيا بين الداخل والخارج ولا يستطيع ، فالشرخ النفس يزداد ولاسبيل لإلتئامه .. ويتحول الحب إلى نقمة والانتماء إلى غربة ، حيث ينظر إلى القاهرة من قمة المقطم ، ويتمنى أن يحرقها لأنه لا يجد فيها شقة يعيش فيها مع حبيته .. وهو حل سلبى لا تبدو فيه نغمة انتماء ولا محاولة اصلاح ، قد يكون الواقع مهترئا بالفعل ولكن التخلص من الانتماء لن يصلح شيئا والسلبية لن تثور شيئا .

قصة « زلطة » تصور لحظة معاناة انسانيه لأحد الكادحين فى هذا البلد ، حيث يستغل قدراته الجسمانيه لكسب قوت يومه ، فالبهلوان يستعرض قدرته على أكل النار وكسر الزلط ليكسب قروشا قليلة ، فى حين أن من يشاهدونه يرفضون أن يعطوه قرشا ويتهمونه بالنصب ، يقول أحد الشباب بعد أن يشاهده وهو فى المقهى :

سيقوم بعملية نصب .. سيمر على كل واحد فى القهوة ويطلب منه قرشا .. ثم يضيف :

بهلوان .. دعا منه .. ألعب وارمى

الزهر : ص ٢٨

بينما هذا البهلوان لا يجد بديلا للحياة غير هذا العمل ، انه مجبر على ذلك يقول بصوت عال : ــ قالوا لى ايه اللى رماك على المر .. قلت اللى أمرمنه ص ٢٩ هذه المفارقة بين الموقفين ، يظل الابيارى يبرزها عن طريق أسلوب التقطيع فى السيناريو ، حيث يتنقل بين البهلوان وهو يوذى عمل والعرق يسيل ع صدره ، وبين صديقين فى مقهى ينظرون إليه من بعيد وأحدهما يتهمه بالنصب :

وتنتقل المفارقة فى الواقع الاجتماعى إلى الواقع السياس فى قصة (من الشارع) وهى لقطة سريعه أثناء حرب الاستنزاف بعد هزيمة يونيو ٦٧ ، فالناس التى ملت كل شئ تحولت إلى مجرد عيون تشاهد ما يحدث دونما أمل فى تغير شئ أو المشاركة فى التغيير وعلى ذلك فالناس ينتظرون أى مثير ، يستيقظون على صوت صراخ امرأة يضربها زوجها ، وتظل الاتهامات المتبادلة بين الرجل والمرأة حتى ينطلق صوت المذيع من راديو أحد المارة ليذيع بياناً عسكرياً عن نجاح عملية

فدائية ، ويصمت الجميع ورغم طول البيان الذى كاد يفسد القصة ويبعدنا عن خطها الأساسى ، إلا أن الإبيارى استطاع أن يربط الخطين السياسى والاجتماعى عن طريق تعليق المرأة بعد انتهاء البيان مباشرة عندما تصرخ :

ـ كداب .. يصرف الفلوس على الخمر .. ص٣٧ .

ثم ينتهى كل شئ البيان والصراخ ، تطفأ الأنوار ويعود كل إلى بيته ويظل فقط نباح الكلاب .

ومـا يسئ لقصص هذه المجموعه العبارات التى يبدأ بها الابيارى قصصه وهى تلخيص مباشر لهذه القصص مما يفسد متعة متابعتها ففى قصة (مزق الصمت صوت امرأة) يبدؤها بعبارة (عندما يخنق الزحام الناس والأجساد والأنفاس ويصبح الصمت ضرورة .. لابد أن يمزق الصمت صوت امراة)لو حذفت هذه المقدمه لكانت القصة أفضل كثيرا .. فالقصة لقطة أخرى من الشارع المصرى ، وهى هنا داخل الأتوبيس حيث ينطلق صوت امرأة فى الزحام ، تتهم شابا بمعاكستها ، وتظل القصة فى حوار طويل لاينتهى إلا فى قسم الشرطة لنكتشف أن الشاهد على ما حدث داخل الأتوبيس يبلغ عن سرقة محفظته . وينتقل من الأتوبيس إلى داخل المدينة القاهرة ، لنجد

بانوراما الواقع المصرى فى إطار قصة (عارية من الحب) فبطلها صحفى يعيش فى الاسكندرية يحاول أن يذهب إلى القاهرة ليعيش هناك ، لكن ما يدور فى هذه الرحلة مرعب وان كان لا يخرج عن إطار الأحاديث والأحداث اليومية .. حيث أزمة الإسكان ، والسفر للخارج وصراعات الصحفيين مع بعضهم نهاراً ، ثم اجتماعهم للسكر مساء ، والناس التى تسكن المقابر ، وهذه الرحلة داخل مدينة القاهرة تشبه رحلة بطل فى شوارع مدينة دبلن لهذا تصبح رحلة العودة مختلفة تماماً والحلم فى الحياة بالقاهرة يموت ، وقد بدأ من بداية هذه القصة أنها الوحيدة التى تقدم بطلاً ثورياً متمرداً ، يحمل فى داخله كل هذا التمرد ضد الواقع ، يتضح ذلك عندما يقرأ عن تهويد إسرائيل للقدس وما تفعله فى الجولان ويكتم غيظه بينما من يجاوره فى القطار يضحك وهو يقرأ نفس الأخبار ويسأله عن (اللحلوح) وضرورته فى الوقت الحاضر ، لكن هذا فى الواقع يقتل بذور التنوير بداخله ويهرب البطل إلى الإسكندرية مهزوماً .

وقصة (المزلقان) تكمل قصة (إنفجار) فالعاشقان مرة أخرى يهربان من زحام القاهرة إلى

المقطم ، وهناك يحلمان بشقة يتزوجان فيها ، وينقمان على المجتمع ، ثم يتبادلان كلمات الغرام وتؤكد له أنها لاتستطيع الحياة بدونه ، وفى طريق عودتهم تبدو المفارقة المضحكة والمأساوية أيضاً عندما يتعرضان لخطر القطار فوق المزلقان فنجد الحبيبة تهرب وتتركه يواجه الخطر بمفرده ، هذه الحبيبة أيضاً نمط وليست حالة فردية ، فالإبيارى يقدم شخصيات إنسانية لكنها أنماط أفرزها مجتمع متغير متبدل تتهاوى بسرعة قيمه وإخلاقياته ، وتشبهها فى ذلك قصة (نظرة حب فى المترو) والتى تهتم بالقيمة الأخلاقية أكثر من الاهتمام بفنية القصة ، وقصة (المفتاح) لا تضيف جديداً لقصص المجموعة برتابة أحداثها ، وهى مجرد وصف تقليدى ممل للسيدة العجوز النحيلة مثل (وأحاطت عينيها هالة من السواد حتى ليخال للمرء أنها كانت تلاكم بالأمس القريب) كانت هذه هى صورتها التى إنعكست فى المرآة ، إلا أن الصورة لم تستطع أن تكشف عما نُكنّه نفسية هذه السيدة من إحساسات ومشاعر تجاه الحياة والناس ص ٨٢ .

والقصة محاولة حلم دائم لخادم صغير بأن يستولى على مفتاح (الخزين) من سيدته العجوز ، وعندما يتحقق الحلم ، لا يفعل شيئاً إذ يفتح الباب

ويقف أمامه بحلم وكأنه ألف حلمه ، وأصبح هو متعته الوحيدة حتى تأتى السيدة العجوز وتسحقه بحلمه .

وفى مقابل ضعف بنية القص فى مثل هذه القصص ، نجد قصة الحب عندما طار لتكون خير تتويج لهذه القصة ، فهى بالفعل أنضج قصص المجموعة من ناحيتى المضمون والبناء ، ان القاص هنا يتخلص من الطريقة التيمورية ، ليعانق التجربة المعاصرة فى القص ، نجد القصة مقسمة إلى عناوين جانبية هى (الفجر - الأب - الجدة - الإبنة - الإبن - الأم) والقصة تصوير للحظة سفر الإبن للعمل بالخارج ، وهى أيضاً ظاهرة فى مجتمعنا وليست حالة فردية ، وإذا كان المقطع الأول المعنون (بالفجر) يظل فى طريقة السرد الوصفى الحيادى فإن المقاطع التالية تصور الحالة النفسية لشخوص القصة وتأثير السفر على كل فرد من أفراد الأسرة كل منهم يفكر فى الألم الذى سيعانيه بعد سفر الابن ، أما عند تصوير الإبن نفسه فتراه قد تحول إلى شئ عادى ، إنه ينظر لحزنهم وصمتهم بسخرية وبرود (إنه يحبهم جميعاً ويحب البلد أيضاً) ص ١٠٣ لكنه يرى الأمور بمنظور يختلف عن بقية أفراد الأسرة ، إن رؤيته ليست حيادية بقدر ما تحمل إتهاماً ولوماً لوالده الذى يمثل جيلا بأكمله ، يحدث نفسه قائلاً : (هذه المغامرة ورثتها منك

يا أبى .. فلماذا تبدو لى حزيناً صامتاً) ص١٠٣ ، ولعل ما يميز هذه القصة أيضاً عن بقية قصص المجموعة هو اختلاف بنية القص ، فالإبيارى لم يعتمد على ضمير الغائب فقط ، وإنما نوع من ضمائر السرد ما بين الغائب والمخاطب وضمير القاص الأول كل هذا التنوع ساعد على تصوير الحدث من زوايا مخلفة ، وعلى توضيح الخارج والداخل ، كما تميزت أيضاً بالاعتماد على التقطيع السينمائى الذى يساعد على التشويق وسرعة التنقل بين الزمن كل هذه التقنيات قد أدت إلى إخراج قصة متميزة تضاف إلى رصيد الإبيارى المتميز .

د . جمال نجيب التلاوى

المنيـا

● **القيت فى إحتفال قصر ثقافة المنيـا بمناسبـة تكريم فتحى الإبيارى .**

● **نشرت بجريدة المستقبل العدد ٢٢ يونيو ١٩٨٧ .**

رؤيـة نقـديـة

« فتحى الإبيارى ..
وآه ... يا بـلـد »

د . صلاح عدس

« آه يا بلد » هى رائعة فتحى الإبيارى التى توج بها مجموعاته القصصية العديدة .. ويبلور عنوانها رؤية كاتبنا للحب والمجتمع ، إذ نجد أمامنا نقطتان ومواقف تعكس معاناة الإنسان المصرى من الأزمات المادية كأزمة الإسكان والمواصلات والزحام . ومن الأزمات الروحية كأزمة الضمير والعنف ، فمثلاً نجد فى قصة « من الشارع » عراكاً بين متشرد وزوجته وفى نفس الوقت يمر بهما شخص يحمل راديو ترانزستور يذيع نشرة أخبار عن انتصاراتنا الكاذبة أيام النكسة فتصرخ المرأة ..

ـ كداب .. ويصرف فلوسه على الخمر .

فهنا توازى رمزى بين الحدثين الشخصى والقومى . وهنا تتضح المأساة التى تعكسها رؤية كاتبنا فتحى الإبيارى بما فيها من مرارة وسخرية وسوداوية وعذاب ، وقد جاءت عبارة « آه يا بلد » كأبلغ

تلخيص لهذه الرؤية ، رغم أنه لا توجد قصة تحمل هذا العنوان بهذه المجموعة القصصية التى تعبر عن لحظة التحول التاريخية التى يمر بها مجتمعنا المصرى الآن ... كان هذا عن المضمون أما عن التكنيك فلم يقع كاتبنا فى هوة الموضات الغربية المستوردة بما فيها من غموض وألغاز باسم تقليد حركة « اللارواية » عن « ناتالى ساروت » أو « آلان روب جرييه » أو حركة المودرينزم القائمة على تيار الوعى « جيمس جويس » و « فرجينيا وولف » فإن سقوط قيم الشكل الفنى فى الحركات هو نتيجة لسقوط قيم المجتمع الغربى بعد الحرب العالمية والانقلاب الصناعى ، ولكننا فى عالمنا العربى لم نعانى من حربين عالميين . وإنما مازلنا مجتمعات زراعية لها قيمها ودينها وقد تربينا على الحدوتة من فم الجدات ، وفى ألف ليلة . كما أن لغتنا العربية لا تعرف الخيال المطلق ولا الرمز المغلق لهذا كله نرفض مع كاتبنا فتحى الإبيارى هذه التقاليد الفارغة التى انفض عنها القراء العرب لأنهم لم يفهموا من كتابنا المقلدين الغرب شيئاً وكأنما يكتبون بالهيروغليفية .. وهكذا نجح فتحى الإبيارى فى تأصيل القصة كشكل فنى فى أدبنا العربى من خلال تمسكنا بالمفهوم الدرامى للقصة القصيرة باعتبارها تصويراً لموقف أو حدث وهنا يبرز أهمية الدور الذى يقوم به

فتحى الإبيارى فى كل إنتاجه وخاصة « آه يا بلد » التى تعتبر إضافة جديدة من حيث المضمون وأيضاً من حيث الشكل فهى تأصيل للقصة القصيرة فى الأدب العربى .

(مجلة الإذاعة والتليفزيون ١٩٨٨)

الإبياري ...
و.. «آه ... يا بـــلد» !!!

بدأ زميلنا الأديب المعزوف فتحى الإبيارى مسيرته فى عالم الأدب كاتباً للقصة القصيرة ، أعطى فى مجالها سبع مجموعات قصصية ، بجانب ثلاث روايات طويلة ، وإذا كانت كتاباته قد تعددت فى مجالات أخرى كالنقد والدراسات السياسية والإعلامية إلا أن القصة بدت لنا همه الأول الذى لم يستحوذ عليه أى مجال آخر من المجالات التى طرقها دارساً وناشراً يشرف على ثلاث مجلات .. وها هو ذا يمدد أرض عطائه فى القصة القصيرة بمجموعة جديدة عنوانها « آه ... يا بلد » أصدرتها مكتبة مدبولى مؤخراً وتضم إحدى عشرة قصة قصيرة تعبر عن هموم الواقع المصرى من زوايا متباينة ، وتحتوى قضايا إنسان هذا العصر ومعاناة الأديب فى أيامنا .. وإذا كانت المجموعة لاتوجد بها قصة بعينها تحمل عنوان « آه ... يا بلد » فإن الصرخة تنطلق من كل قصص المجموعة .. ألماً وحباً فى الوقت نفسه .

عبد العال الحمامصى

اكتوبر ٢٢ فبراير ١٩٨٧

إنفجار .. إبيارى ..

يعود الأديب فتحى الإبيارى بعد تجواله فى كل فنون الكتابة ، بعد دراساته عن الصهيونية ، وبعد دراساته النقدية ، وبعد دراساته الصحفية ، ويختار هذه المرة لمجموعته القصصية الجديدة عنوان : « آه ... يا بلد » - آخر مجموعاته القصصية كانت بعنوان : رحلة صيد قصيرة - ويقول فى تقديمها عبارة « إبيارية » مثيرة :

ليست هناك قصة بعنوان « آه يا بلد » .. ولكن فى نهاية كل قصة ستجد نفسك تستريح عندما تقول : « آآآه ... يا بلد » !! .

عبدالفتاح رزق

روزا اليوسف ١٩٨٧

المعاناة الحلوة

عبدالفتاح رزق

●● لست متعصباً للأسكندرية ، ولكنها فى حاجة إلى الإنصاف ! وحين أتكلم عن تلك المدينة ، فأنا أتكلم عن حضارة بأكملها ، وتاريخ ثقافى يبدأ من المكتبة الشهيرة ، ومن مدرسة «أفلوطين» الفلسفية التى أحبت فلسفة «أفلاطون» و «أرسطو» على الساحل الشمالى لمصر ، وجعلت فى المدينة منارا ينافس كل منارات الإغريق .

تلك حقائق تاريخية ، نضيف إليها أن «الصحافة» المصرية كانت بدايتها فى الأسكندرية وكذلك كانت بدايات العباقرة الذين نتغنى بإنتاجهم الفنى والأدبى حتى اليوم .. سلامة حجازى ، وسيد درويش ، وتوفيق الحكيم ، وأدهم وسيف وانلى و.. لكن .. ما هو حال المدينة الثقافى هذه الأيام ؟

هناك بالطبع مجالات أدبية ، وهناك نادٍ للقصة ، فهل يشعر أحد - خارج الأسكندرية - بذلك ؟ الإجابة - للأسف - هى

النفى ، رغم أن القائمين بتلك النشاطات يحرصون على إرسال إنتاجهم إلى من يعرفون فى القاهرة ، حتى يستطيعوا الحصول على «جواز مرور» إلى الشرعية ، وإلى الوجود الحقيقى !

وهذا وضع غير طبيعى ، فلتقل أن «القاهرة» هى العاصمة، وأن الأسكندرية ـ هى العاصمة الثانية .. فهل تحظى الثانية بما يجب أن تحظى به . هل تمتلك الجريدة اليومية الخاصة بها . هل تقدر على إستقطاب أبنائها الذين يهاجرون كل يوم إلى أضواء العاصمة ؟

الإجابة ـ مرة ثانية ـ هى النفى ، ورغم ذلك فإن الكثيرين من أبناء المدينة لايعرفون اليأس ، ومن هؤلاء واحد مازال شابا رغم أنه قد تجاوز الأربعين . يطير «كالمكوك» بين المدينتين . ينظم المسابقات الأدبية ، يقدم أعمال بلدياته فى أجهزة الإعلام ، ثم يلتقط الأنفاس ليمسك بالقلم ويكتب القصة ، والدراسات ، والأعمال الصحفية ! الشاب ـ تجاوزا ـ اسمه «فتحى الأبيارى». ولقد كانت بداياته مع عشق لكل مايكتبه «محمود تيمور» فنشر ما لا يقل عن ثلاثة كتب عنه . وحين جاء إلى القاهرة ، كما جاء الكثيرون غيره ، لم تشغله دوامة الحياة اليومية عن حبه الأول .. الأسكندرية .

وكانت كل خطوة له تشتعل بالحماس كأنما هى كلمة عتاب للآخرين الذين تربعوا فى «القاهرة» دون حركة ، وغابت عن أذهانهم كل معانى الوفاء للأسكندرية .

ولقد تعود هؤلاء المهاجرو ن كلما التقوا أن يرددوا نفس تلك الكلمات ، ويتواعدوا على تقديم المزيد من النشاط والأهتمام من أجل ازدهار المدينة من جديد .. ولكن .. سرعان ما يتبخر الحماس كما تتبخر أمواج البحر إذا تعرضت لوهج الشمس ، وإذا لم تظللها السحابات المطرة !

وأمامى الآن الكتاب رقم عشرين الذى يصدره «فتحى الأبيارى» وهو مجموعة قصصية رابعة له بعد «قصص سكندرية» و«ترنيمة حب» و«قلب الحب» .. وعنوانها هو «كلمة حلوة» !

رغم كل شىء فهو يتعلق بالمعانى الحلوة مع إنها «معاناة» أبدية لكى يظل نبض عشق الإنسان لمدينة !

وكما قلت فى البداية أنا لست متعصبا للأسكندرية .. فهل من حقى أن أمنع غيرى من التعصب لها ؟!

فى قصة «بوسى» يقول .

«.. كنت فى تلك الأثناء قد وصلت إلى «السلسلة» .. تلك

البقعة الحالمة التى تسبح فى البحر ، وتمتد فيه مسافة طويلة أعطت للأمواج فرصة نادرة لتقبيلها وعناقها . وصلت وقد أشرفت الشمس على المغيب ، وطفقت أرقب الشمس وهى تختفى وراء الأفق البعيد!

بعض القصص وقائعها فى «القاهرة» . ولكن العزف المنفرد ، المتميز ، لا يكون إلا عندما تكون الوقائع فى الأسكندرية ... وعبر قصص « من جديد » ولقاء تحت أمطار الربيع» و « الضيف والحمقى » ثم « مزق الصمت صوت امرأة» .. ينسج « فتحى الأبيارى » رؤيته الفنية باقتدار . ويقدم نماذج ناجحه لما يجب أن تكون عليه القصة القصيرة بعيدا عن الخطابة والهتاف !

وإلى الأسكندرية ـ مدينتى ـ أقول :

قد يهاجر أبناؤك .. ولكن .. هل يهاجر البحر ؟ !

● **عبد الفتاح رزق**
« روز اليوسف »
٩ إبريل ١٩٧٩

مؤلفات فتحي الابياري

•دراسات صحفية وسياسية

•الرأي العام والمخطط الصهيوني	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٩٦٩
الصحافة الإقليمية والتنظيم السياسي	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٦٩
•القهيلا	هيئة الكتاب	١٩٧٠
•الصهيونية	دار المعارف(كتابك)	١٩٧٧
•أكتوبر وال١٠٠يوم من أجل السلام	الاستعلامات	١٩٧٦
•صحافتنا الإقليمية والإسكندرية	هيئة الكتاب	١٩٧٦
•صحافة المستقبل والتنظيم السياسي	دار المعرفة بالإسكندرية	١٩٨٥
•الإعلام والرأي العام والقهيلا	دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٥
•الإعلام الدولي والدعاية	ط١ـط٢ ـ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٥ ١٩٨٦
•فن الدعاية	هيئة الكتاب	١٩٨٩
•نحو إعلام دولي جديد	هيئة الكتاب	١٩٩٠
•القهيلا وأسرار المذابح الصهيونية	كتاب أمواج	٢٠٠١

•مجموعات قصصية

•بلا نهاية	دار نشر الثقافة بالإسكندرية	١٩٦٦
•قصص قصيرة جداً	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٧٢
•ترنيمة حب	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٧٣
•قصة دافيد كوبر فيلد	دار نشر الثقافة بالإسكندرية	٦١- ٧٣
•قلب الحب	دار الشعب	١٩٧٧
•كلمة حلوة	هيئة الكتاب	١٩٧٨
•رحلة صيد قصيرة	هيئة الكتاب	١٩٨٠
•آه يا بلد	مكتبة مدبولى	١٩٨٩
•رحلة حب	مطبوعات المستقبل	١٩٩٢
•عليه العوض	عالم القصة	١٩٩٣
•مؤلفات فتحي الابيارى ج١	هيئة الكتاب	١٩٩٢
•قصص قصير جدا ج١		
•ترنيمة حب		
•مؤلفات فتحي الابيارى ج٢	هيئة الكتاب	١٩٩٣
•رحلة صيد قصيرة		
•آه يـــــا بلــــــد	عالم القصة	٢٠٠٢
(قصص وحكايات آخري)		

•كتب في الفكر الإسلامي

•السيدة نفيسة رضي الله عنها	**منتصر للنشر**	**١٩٨٩**
•في ضيافة الرحمن	**دار الصفوة**	**١٩٩٢**
•موسوعة المحمديات	**ج١ هيئة الكتاب**	**١٩٩٤**
•موسوعة المحمديات	**ج٢ هيئة الكتاب**	**١٩٩٥**
•موسوعة المحمديات	**ج٣ هيئة الكتاب**	**١٩٩٥**
•موسوعة المحمديات	**ج٤ هيئة الكتاب**	**١٩٩٦**
•موسوعة المحمديات	**ج٥ هيئة الكتاب**	**١٩٩٨**
•محمد صلي الله عليه وسلم	**هيئة قصور الثقافة**	**٢٠٠١/٩٩/٩٨**
محمد (ص) نبع الحب	**تحت الطبع**	
•المرأة في القرآن الكريم	**تحت الطبع**	
•طيف لا يغيب	**تحت الطبع**	

•رحـــــــلات

•رحلة الأحلام في عالم الأساطير	طوكيو
•رحلة الأحلام في عالم العجائب	تايلاند
•رحلة الأحلام في عالم الغرائب	هونج كونج
•رحلة فوق الأمواج	مواني البحر المتوسط
•أوراق طائرة في أوروبا الحائرة	عواصم أوروبا

•مغامرات ابن الابيارى في العالم الأمريكاني	أمريكا	

•دراســات نقدية وأدبيــة

•محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية	ط١ دار المعارف	١٩٦١
•فن القصة عند تيمور	ط١ دار المعارف	١٩٦٤
•عالم تيمور القصصي	ط٢ هيئة الكتاب	١٩٧٧
•عالم تيمور القصصي	ط٣ هيئة الكتاب	١٩٩٤
•الجنس والواقعية في القصة	هيئة الكتاب	١٩٦٦
•أدباؤنا والحب	ط١ دار الشروق/ط٢ دار المعارف	٧٣ /٩٥
•نبضات القلوب وأدباء الأقاليم	دار الشعب	١٩٧١
•عشرة آلاف خطوة مع الحكيم	هيئة الكتاب	١٩٨٧
•الأم في الأدب	ط١ الدار المصرية	١٩٦٦
•الأم حكايات وقصص	ط٢ كتاب أخبار اليوم	١٩٧٠
•الأم حكايات وقصص	**ط٣ هيئة الكتاب**	١٩٩١
•الأم حكايات وقصص	**ط٤ هيئة الكتاب**	١٩٩٤

•روايــات

•رحلة خارج اللعبة	ط١ مطبوعات عالم القصة	**١٩٧١**
•رحلة خارج اللعبة	ط٢ هيئة الكتاب	**١٩٨٢**
•رحلة خارج اللعبة	هيئة الكتاب (الترجمة الإنجليزية)	١٩٩٢
•أرنب كالآخرين	تحت الطبع	

•رحلات حب سرية	مجلة الثقافة	١٩٧٨
•رحلة ٤٦ رحلة حب	مطبوعات المستقبل	١٩٩٢
•ميريلاند	تحت الطبع	
•الديك	تحت الطبع	

••كتب عن المؤلف

•فـــــتحي الابــــــياري .. (رؤية نقدية)	مطبوعات عالم القصة	١٩٨٩
•فـــــتحي الابــــــياري .. (الحب المرأة الحياة)	ملاك ميخائيل	١٩٩٦
•فـــــتحي الابــــــياري .. رائد الصحافة الإقليمية	مطبوعات نادي القصة	١٩٩٦

تسجيل للبرنامج التليفزيوني رواد الذي تم عرضه بالقناة الخامسة على مدي ثلاث ساعات ..

•فـــــتحي الابــــــياري .. (الفكرة المائية المتدفقة)	ملف خاص بمجلة الثقافة الجديدة هيئة قصور الثقافة	١٩٩٨
•فـــــتحي الابــــــياري .. (الفطرة والإصرار)	مطبوعات نادي القصة محمد محمود عبد الرازق	٢٠٠٠

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المحتـــويات

رقم الإيداع ٣٦٦٦/ ٢٠٠٢